سلسلة الدراسات التوثيقية 6

# عباس الزين الطيب

## مكتبة السودان ومستودع الأسرار

إشراف

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد - د. عوض شبّا

الطبعة الأولى- 2022م



عباس الزين الطيب - مكتبة السودان ومستودع الأسرار

### القارىء الكريم:

سلسلة الدراسات التوثيقية هي مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة الهادفة، عملت دار آريثيريا للنشر والتوزيع على تبنيها والاهتمام بها ونشرها بالشراكة مع مجلة القلزم للدراسات التوثيقية.. خدمةً للبحث العلمي في مجال الدراسات و البحوث التوثيقية.

### القارئ الكريم:

تثمن دار آريثيريا للنشر والتوزيع المجهودات العلمية لجميع المفكرين والمختصين والباحثين من مختلف الدول العربية وخارجها، وتؤكد بأنها سوف تعمل بكل جد واجتهاد على توسيع قاعدة النشر العلمي وإتاحته عبر الدار وشركائها، لنشر البحوث التي تسهم في رفد المكتبة العربية والعالمية بالجديد المفيد.

### القارئ الكريم:

العالم اليوم يؤمن بالعمل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الإيجابي على الفرد والمجتمع، ومن خلال هذا المحور نعمل دائما - بحول الله تعالى - كي تكون الدار منبراً علمياً يشار إليه بالبنان. بإذنه تعالى.




دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

رقم الإيداع القانوني: (002490159 - 2022)

سلسلة الدراسات التوثيقية (6)



عباس الزين الطيب

# مكتبة السودان ومستودع الأسرار

إشراف

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد - د. عوض شبّا

الطبعة الأولى : 2022م

الكتاب : عباس الزين الطيب.. مكتبة السودان ومستودع الأسرار
تاريخ النشر : الطبعة الأولى 2022م

التصميم والإخراج: علي عبد الحليم كابتود

حقوق النشر محفوظة للدار

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية
أو نقله بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الدار.

إن دار إريثيريا للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن أراء المؤلفين وأفكارهم، وتعبر الآراء والأفكار
الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلفين ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.



بسم الله الرحمن الرحیم

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون﴾

**(التوبة - الآية ١٠٥)**

# الفصل الأول

# الراحلُ المقيم؛ الأستاذ عباس الزين الطيب

# (الميلاد، النشأة،البيئة والمجتمع المحلي)

# الراحلُ المقيم: الأستاذ عباس الزين الطيب
# (الميلاد، النشأة،البيئة والمجتمع المحلي)

د. محمد الفائح حياتي
أستاذ مساعد - قسم الآثار
جامعة الخرطوم

## توطئة:

الحمد لله الذي زيَّن مقاصيرَ قلوبِ الأصفياء بالنور التام، وكشف البراقعَ عن ألباب الأنقياء وجلا عنها الظلام. أحمده حمداً كثيراً متوالياً، وإن كان يتضاءلُ دون حق جلاله حمد الحامدين، وأستخيره فيما انبعث له عزمي من توثيق هذا الجوهر الثمين. فاللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيدنا محمد، وعلى سائر أنبيائك وملائكتك وأوليائك، من أهل أرضك وسمائك، عدد ما كان وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائن في علم الله أبد الآبدين، ودهر الداهِرين، واجعلنا بالصلاة عليهم من الصدِّيقين الآمنين يا رب العالمين.

لقد أنعم اللهُ تعالى على البشرية بقدرٍ وافر من جلائل النِّعم، وكرائم النفحات، وعظائم المواهب، وما لا يحصيه إلا هو سبحانه جلَّ وعلا في ملكوته وتدبير شؤون ملكه. فكان من فضائل ما أنعم الله به على العباد أن جعل منهم أناساً يستفيء المرء بظلال مودَّتهم وكرم أخلاقهم، أناساً أرسلهم الله بلسماً وترياقاً لعباده، يعيشون بين الناس كالنسمة المنعشة، يتلهفون لقضاء حوائج العباد كما تتلهَّف الوالدة لبذل الخير لوليدها، يبذلون أنفسهم لراحة غيرهم ويحضرون عند الحاجة كما يُحضر الماء البارد عند اشتداد الظمأ. فهم أهل الصدق والوفاء الذين أمر الحق سبحانه وتعالى بمعيتهم وعدم مجافاتهم، فقال عزَّ من قائل: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ**﴾[1]. وهم الذين وصفهم الصادق المصدوق عليه أفضل الصلوات وأتم

التسليم في الحديث الذي رواه سيدنا أبو هريرة رضي الله فقال: "قال رسول الله صلى عليه وسلم: إن أحبكم إليَّ أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليَّ المشَّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبة، الملتمسون للبراء العنت"[(2)]. فهؤلاء الأتقياء الأنقياء؛زينة سيماهم الكرم والإيثار والتفاني، وعُمدة شيمهم النُّبل ولين الجانب وبذل المعروف للخلق أجمعين.

اختار خالق الأكوان ومنوِّر القلوب والأفئدة والأبدان من هذه الثُّلة الطيبة المباركة؛ الراحل المقيم الأستاذ عباس الزين الطيب عبد الله ليكون قرَّة في جبين الطيبين، وروضةَمُونقةً من رياض أهل العزم المتين، ونحسبه منهم بإذن من خلقه وزانه بأسمى سمات العرفان، وأضاء به غياهب الزمان والمكان، ونسأل المولى تبارك وتعالى أن يجعل ما نكتبه فيه شفيعاً لنا جميعاً في عرصات يوم لا ظلَّ إلا ظله، لطالما أننا نشهد له بأنبل الصفات، واقفين على أروع ما سطَّرته له الأمكنة والأزمان، والأفئدة والعقل واللسان. فقد أفاض عليه الملك القدوس جلّ جلاله أبهى حُلل الجمال والعرفان، وأورده أعذب موارد الإيقان، وقرَّبه إلى موائد الإحسان، وخلع عليه من خِلع الرضوان. فما نحن إلا أناس شهدوا فيوضات الملك العلاَّم على أحد خلقه؛ تجسَّد في شخص صاحب القول الحسن والفعل الحسن؛ الراحل المقيم، الأستاذ عباس الزين الطيب. فقد تبدت للعيان ثمرات طيبة الغراس، وغدا قطافها مناشداً لمن يقطفه، فكان حتماً علينا مشاركة الجميع تذوق هذا الينع المبارك.

يتجلى الهدف الأساس من تطريز حِبَر هذا السِّفر المبارك بإذن الله في سبر أغوار شخصية فقيدنا المرحوم بإذن من سوَّاه فأبدع خَلقه وخُلقه، وغايتنا المُثلى من ذلك تتجسَّد في تسطير تاريخه الناصع وتوثيقه للأجيال المتعاقبة، مسترشدين بما تركه لنا من قبسٍ نستضيئُ به السبيل لنكتب ما جادت به القريحة ولو كان ضنيناً، مستلهمين عرائس المعاني من ذكراه الطيبة وروحه الطاهرة، مستعينين في ذلك بعد من خَلَقَ الأبدان، ونوَّر العقل والكِيان جلَّ جلاله؛ بالأهل والعشيرة والأصدقاء والزملاء في جمع أشتات سيرته العطرة وذكراه الثرَّة. وفي هذا المقام؛ سنسعى جاهدين لتقديم شذرات من سيرته الأولية؛ محاولين التطواف على جوانبها الثقافية والاجتماعية متمثلة في مولده ونشأته والبيئة التي نشأ فيها والسياق الثقافي الذي عاشه في بواكير حياته.

## صرخة الميلاد:

في حلة عباس التي تقع في ربوع الجزيرة الخضراء وتتبع إدارياً لمحلية الكاملين ووحدة المعيلق الإدارية، وثقافياً واجتماعياً لمنطقة الحلاوين؛كانت لحظة الميلاد وظهور بدر البدور. ففي العام 1944م وفي بيئة ريفية مشبعة بالبساطة والمودة ونقاء السريرة وُلد فقيدنا في بيت متواضع ملؤه الزهد والصدق والإخلاص والرضى والإيمان الراسخ. فوالده هو الحاج الزين الطيب عبد الله (لوحة. 1)، ووالدته هي الحاجةآمنة محمد عباس، رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته، ويجمعُ بينهما رباط قرابة الدم اللصيقة، وتُضاف إليه وشائج المحبة والإلفة والسلام. فقد نشأ فقيدنا في بيئة سليمة معافاةٍ من كل ما يشوب الحياة ويكدِّر صفوها، إذ كان ولا يزال مجتمعاً طاهراً نقياً عفيفاً يتوشح ثوب التُّقى والعفاف، ويتزين بزي المحبة والوئام، مجتمعاً خالياً من الصراعات العميقة، بعيداً عن مستنقعات الفتن والشرور والآثام التي تنعكس على شخصية المرء وتأتي عليه بمردود سلبي يتجسَّد في شخصه وسلوكه العام. في هذا الجو الأسري المفعم بالحيوية والطُّهر والنقاء؛ نشأ صاحب الذكرى، فقد كان لهذه البيئة الحسنة الأثر الطيب في تكوين شخصيته، إذ نشأ طيب القلب، نقي السريرة، محباً للخير وباذلاً له.



**لوحة، (1).**

**الحاج الزين الطيب عبد الله، والد الأستاذ عباس الزين.**

ينتمي فقيدنا المرحوم بإذن ربه إلى قبيلة الحلاوين، إذ ينتهي نسبه الشريف إلى شجرة الأصل النورانية الطاهرة المباركة المطهَّرة على منبع الحُسن وجوهرة الكمال فيها أفضل الصلوات وأتمّ التسليمات وعلى آله أجمعين. وهذا ما وثقته المخطوطات المحفوظة عند الأهل وما تناقلته الروايات الشفهية التي يعطيها الأهل عناية خاصة. كما نقله بعض من وثَّقوا ودوّنوا الأنساب السودانية وتاريخ القبائل العربية في السودان. فهو المرحوم عباس بن الحاج الزين بن الشيخ الطيب بن الفكي عبد الله (درويش البقرات) بن الشيخ علي بن الجبارة بن عبد الله بن موسى بن الفكي بادي (أمُّه فاطمة بنت الفقيه رحمة الحلاوي؛ أحد الأوائل الذين أخذوا الطريق القادري في السودان عن الشيخ تاج الدين البهاري[3] بن الشيخ كنين الصوفي (ربما كان تلميذاً للفقيه رحمه الحلاوي وصِهره) بن الشيخ محمود الكباري (هو جد النوايلة الطُّرشاب وهم أحد فروع الحلاوين الذين ينتمي إليهم فقيدنا. وكان معاصراً للفكي محمد أبي مطايب والفقيه رحمة بن جمعة الحلاوي، وكان من أهل القرآن والعلم الشرعي[4]بن عبد الله البخت بن إبراهيم شمخ الدين بن محمد خازن بن محمد نائل بن محمد حلو الشمائل (وهو جد الحلاوين) بن السيد محمد أحمدحمد الله الفريدبن السيد محمد رافع (قبره ظاهر بمدينة أبو حمد بشمال السودان[5] بن السيد عامر بن السيد الحسين بن السيد إسماعيل بن السيد عبدالله بن السيد ابراهيم بن السيد على الرضا بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وعنهم أجمعين. هذا النسب أورده الإداري البريطاني هاورلدماكمايكل (H.A.McMichael) في كتابه الموسوم ب: تاريخ العرب في السودان، وذلك في معرض حديثه عن نسب الحلاوين، فقد ذكر أنَّ مخطوطة هذا النسب أحضرها الشيخ عبدالله العركي من مكة المكرمة عندما ذهب للقاء الشيخ تاج الدين البهاري لأخذ الطريق القادري[6]. كما نقل البروفيسور عون الشريف قاسم بعضاً منها عندما تحدَّث الفقيه رحمة بن جمعة الحلاوي وهو جد الرحَمَاب، وهم فرع كبير من قبيلة الحلاوين، ولهم شأنٌ عظيم في المنطقة بأثرها، فقد كانت عندهم نظارة المنطقة [7].

## الأستاذ عباس الزين يشبُّ عن الطوق:

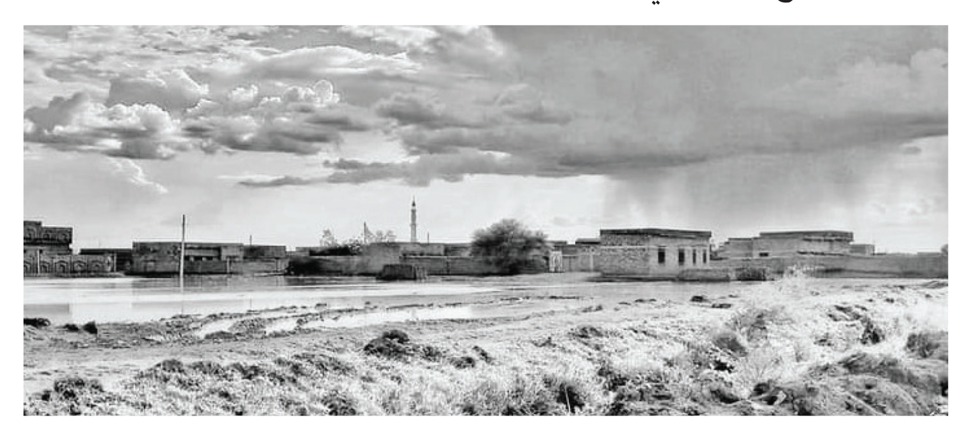
كما هو حال السُّلَّم التعليمي في ذلك الزمن؛ يبدأ الأبناء بتعلُّم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في الخلاوي. ومن تتوفَّر له وسائل التعليم النظامي المدرسي من رغبة شخصية وتحفيز من الأسرة يذهب إليه. وقد كانت حلة عباس كغيرها من سائر قرى منطقة الحلاوين تهتم بتدريس القرآن الكريم وحفظه. فالغالبية من النشء يذهبون إلى الخلوة ويحفظون القرآن الكريم. وقد قضى الأستاذ عباس عليه رحمه الله زمناً في خلوة القرية، لكنه سرعان ما انتقل إلى التعليم النظامي ليدرس المرحلة الابتدائية بمدرسة قرية مُقْدِر، وهي قرية تقع داخل حدود منطقة الحلاوين وفي محلية الحصاحيصا، وذلك في الفترة من 1952 إلى 1955م. وإبَّان دراسته في هذه المدرسة كان يسكن مع أحد أقربائه، وهو المرحوم السِّر الأمين حاج آدم الذي كان يسكن قرية عجَّان في ذلك الزمان، وهي ليست ببعيدةٍ عن القرية التي توجد بها المدرسة، ما يعني أنَّ فقيدنا كان يتكبَّد مشاقَّ الذهب إلى المدرسة مشياً على الأقدام جيئةً وذهاباً في غالب أيام الدراسة.

بعد قضائه المرحلة الابتدائية في المنطقة؛ انتقل فقيدُنا لدراسة المرحلة الوسطى بمدارس الأحفاد الوسطى بأم درمان، وذلك في الفترة من 1956 إلى 1960م.أكسبت هذه المرحلة الفقيد طيب الله ثراه الكثير من المكتسبات الفكرية والثقافية، فقد جمع فيها بين الإنسان الذي وُلد وتربى في القرية والأفندي الذي نال قسطاً من التعليم النظامي الذي كان يؤهِّله للعمل كموظف في إحدى المؤسَّسات الحكومية أو الخاصَّة. فلم يكن الأمر يسيراً وفي متناول يد الجميع حتى ينالوا هذا التأهيل.

البيئة والمجتمع المحيط:

نشأ فقيدُنا في بيئة ذاخرة بشتى ضروب الثراء الثقافي والمعرفي، وتربى في كنف أسرة تشبعت بروح التصوف والصفاء الروحي. وكان مشروع الجزيرة الزراعي في أوج ازدهاره وعظمته تحت رعاية المستعمِر في ذلك الزمان. وقد تأسست حلة عباس في العام 1898م، وذلك في غضون الحَراك الثقافي الذي أحدثته الثورة المهدية في المنطقة التي احتضنت الثائر محمد أحمد المهدي في بدايات تكوين أفكاره ونضوج دعوته، ومنها انطلقت شرارة ثورته إلى بقية أصقاع السودان[8].وفي أثناء التداعيات السياسية والعسكرية التي اكتنفت الحياة في السودان في العام 1898م رأى الحاج عباس بن محمد

بـن الشـيخ عـلى بـن الجبـارة، وهـو ينتمـي إلى قبيلـة الحلاويـن، وينضـوي تحت أحـد فروعها الـذي يعـرف بالحلاويـن النوايلـة أو الطُّرشـاب؛ رأى أنْ يقـومَ بتأسـيس قريـة يجعلهـا مـلاذاً لأسرتـه الصغـيرة، وطلـب مـن ابـن عمـه الشـيخ الطيـب بـن الفـكي عبـد اللـه بـن الشـيخ عـلي بـن الجبـارة أن يـؤازره في سـكناه غـير اللصيقـة بأهلـه وعشـيرته المبـاشرة في قـرى الحلاويـن الواقعـة إلى الجنـوب مـن حلـة عبـاس بمسـافة تربـو عـن الخمسـة عـشر كلـم[2]. فـكان أن تأسَّسـت القريـة في ذلـك الزمـن، ثـم توافـدت عليهـا قوميـات أخـرى أصبحـت جـزءاً مـن النسـيج الاجتماعـي (لوحـة. 2).



**لوحة رقم، (2).**

**منظر عام لقرية حلة عباس. تصوير: علي عمر إبراهيم.**

في ظـلِّ هـذه التحـرُّكات السـكانية؛ وبعـد مـا يزيـد عـن الأربعـة عقـود مـن تأسـيس القريـة؛ أذِن مُسـبب الأسـباب ومجـري السـحاب جـلَّ في عليائـه لفقيدنـا في أن يلـجَ إلى الدنيـا، وتتفتـح عينـاه عـلى إرثٍ حضـاري قامـت دعائمـه عـلى روح التصـوف والزهـد والسـمو الروحـي، فوالـده الحـاج الزيـن الطيـب عبـد اللـه، كان رجـلاً صوفيـاً نقيَّـاً نشـأ في كنـف العـارف باللـه: الشـيخ الطيـب بـن حـاج الصديـق بـن بـدر (ود السـائح) عليـه رحمـة اللـه، إذ أخـذ عنـه العهـد ولازمـه ملازمـةً لصيقـة، وتأثَّـرت روحـه بـه أيَّمـا تأثُّـر بشـيخه، فعـاش حيـاة ملؤهـا حُـبُّ الخـير للآخريـن مـع التقـوى والـورع. وقـد كان بنـاءُ المسـاجد والزوايـا مـن أبـرز مزايـا الشـيخ الطيـب بـن السـائح، فقـد كان الحـاج الزيـن مـن المشـاركين في هـذه الإنجـازات العظيمـة برفقـة الشـيخ الطيـب، أرسـل اللـه عـلى أضرحتهـما سـحائب الرحمـة والرضـوان.

أما جده فهو الشيخ الطيب بن الفكي عبد الله، وهو رجل جمع مختلف صفات الكمال، فقد كان فارساً في شتى مضامير الحياة، وكان رجلاً صالحاً ورث عن آبائه وأجداده الفِراسة والصلاح، وهناك الكثير من الروايات الشفهية التي تتناقلُها الأجيال عن صلاحه وفروسيته، فما تزال الذاكرةُ الجمعية للأهل متَّقدة بالكثير من الكرامات التي رُويت عن الجد الشيخ الطيب بن الفكي عبد الله. وقد تلمذ على الشيخ علي بن عجيلاوي الذي كان يسكن قرية الدبيبة عبد الله، وهي تقع في الناحية الشمالية لحلة عباس. وتقول الروايات الشفاهية أن الشيخ علي بن عجيلاوي كان تلميذاً للشيخ العبيد بن بدر طيب الله ثراه، وهو من ذرية الشيخ طه الأبيض[9]. كان الجدُّ الشيخ الطيب بن عبد الله مخلصاً لشيخه أيَّما إخلاص، وقد رافقه في حياته وفي برزخه، إذ تم دفنه بالقرب من شيخه بمقابر قريةالدبيبة عبد الله، في حين كان أهله يدفنون موتاهم مع أهلهم الحلاوين بالمحيريبا.

وأما الجدُّ الثاني لفقيدنا فهو الفكي عبد الله بن الشيخ علي بن الجبارة عليهم جميعاً رحمة الله، وكان يلقَّب ب: "درويش البقرات". فقد أخذ الطريقة السمانية عن الشيخ القرشي بن الزين قدس الله سرَّه، وظلُّ ملازماً لشيخه، وكان قائماً بتدريس القرآن بخلوة الشيخ القرشي بن الزين، فعندما جاء الثائر محمد أحمد المهدي إلى خلوة الشيخ القرشي بن الزين؛ أكمل حفظَه للقرآن على يد الفكي عبد الله بن الشيخ علي. وتقول الرواية الشفهية أنه عندما بدأ الثائر محمد أحمد المهدي بنشر دعوته والتبشير بثورته؛ اعتزلها الفكي عبد الله وقال حديثاً نقله لنا حفيده الدكتور يوسف عبد الله الطيب عن أبيه عن جدِّه الطيب الذي هو ابن الفكي عبد الله. ونصُّ الرواية يقول: "يا ولدي الفترة الجاية دي فترة سفك دماء.. وقد عُرضت على أولياءِ الله في الحضرة فأبوها.. وقَبِلها الفكي محمد أحمد.. أسأل الله أنا ما أحضرها.. وأسأل الله يَمْرُقْ منها الفكي محمد أحمد.. محمد أحمد من أولياء الله..انتهى."[10]. يرشدنا هذا النقل الشفهي إلى أنَّ الفكي عبد الله لم يكن مؤمناً بمهدية الفكي محمد أحمد. فمحمد أحمد كان تلميذه في الخلوة، وقد أعطاه اسم الله الأعظم ليذكر الله به، وأدخله الخلوة الأربعينية، وهي تقليدٌ راسخ له ما يعضده من الشريعة الغراء عند السادةِ الصوفية. فعندما جاء محمد أحمد الذي عُرف فيما بعد بالمهدي إلى خلوة الشيخ القرشي بن الزين لم يكن قد أكمل حفظ القرآن الكريم، فأكمله على يد الفكي عبد الله بن علي. وقد انتقل الفكي عبد الله مع بداية انتشار الدعوة المهدية، فلم يحضر منها شيئاً، إذ لم يكن مقتنعاً بفكرة المهدية في شخص الثائر محمد أحمد، لكنه كان يُقرُّ له بالولايةِ والصلاح. وقد تبنَّى ذلك الطرح المنتقد للثورة المهدية ومنهجها كثير من علماء ذلك العصر وإن تباينت

أسبابُ نقدهم وأغراضها [11]، فقد ذهب بعض أهل العلم في السودان إلى أن فكرة المهدي موجودة في الأثر الإسلامي، لكنها لا تنطبق على محمد أحمد [12].



**لوحة (3). مقام الفكي عبد الله بن الشيخ علي، الجد الثاني للأستاذ عباس الزين. تصوير: مصطفى حسن سعيد.**

ظل الفكي عبد الله بن الشيخ علي ملازماً لشيخه الشيخ القرشي يرتع في رياضه الغنَّاء، ويرتشفُ من بحور حقائقه ومنابع رقائقه. وقيل إن والدَه الشيخ علي بن الجبارة كان تلميذاً للقطب الكبير؛ الأستاذ الشيخ أحمد الطيب بن البشير طيَّب الله ثراه، فربما يكون ذلك عن طريق الشيخ أحمد البصير الحلاوي عليه رحمة الله؛ بحكم ووجود الشيخ أحمد البصير في منطقة الحلاوين، إضافة إلى رابطة الدم الحلاوي الذي يجمع بين الشيخ أحمد البصير والشيخ علي بن الجبارة، فضلاَ عن أنَّ الشيخ أحمد البصير الحلاوي يعدُّ أول تلامذة الشيخ أحمد الطيب بن البشير في هذه المنطقة[13]. كما أورد صاحب كتاب معالم وأعلام أن الشيخ محمد بن الجبارة، وهو من قرية الطُّرُش؛ نسبة للطُّرشاب، وهي قرية السنية؛ كان تلميذاً للشيخ أحمد البصير أيضا، والشيخ محمد بن الجبارة هو أخ للشيخ علي بن الجبارة كما جاء شجرة نسب الحلاوين الطُّرشاب[14].

استمر الفكي عبد الله بن الشيخ علي يعمل بالتدريس في خلوة الشيخ القرشي بن الزين إلى أن ابتعثه الشيخُ القرشيُّ في مهمة إصلاح وإرشاد إلى مناطق تقع في أواسط الجزيرة وبالقرب من منطقة أبو قوتة، فظل مقيماً في ذلك المكان يرشد الناس ويعلمهم القرآن ويقضي حوائجهم المتصلة بالدين والدنيا، إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى ودُفن بقرية "كِتْرَة" ومقامه ظاهر يُزار في تلك المنطقة[15] (لوحة. 3).وفي هذا

المقام؛ توجَّبت إجالة الفكر واستثارة الانتباه إلى أن الفكي عبد الله يُعدُّ جندياً مجهولاً أسهم في غراس أطايب الثمر في شخصية الإمام المهدي عليه رحمة الله، ووجه نحوه أشعَّة الحق والنور، لكنه لم يجد حظاً من التوثيق والمعرفة، فلم نجد له ذكراً فيما سطَّرته الأقلام عن تداعيات الثورة المهدية ومنابعها المعرفية، إذ خلت الأدبيات من أدنى ذكر عن سيرته. لكن هذا الأمر ليس بغريب، فهنالك الكثير من أصحاب العزائم والقِدح المعلَّى في صناعة الأحداث قد غيَّبتهم صفحات التاريخ عمداً أو سهواً. فالأضواء دائماً ما تُسلط على الصفِّ الأول من الذين شهدوا الأحداث وصنعوها. ومن هنا؛ نبذر هذه البذرة لتوثيق هذه الشخصية المعطاءة، سيما وأن المكنونات المعرفية الخاصة به تتجسد في الرواية الشفهية ولا سواها، مع العلم بأن من يحفظون الرواية الأصلية قد رحلوا إلى دار البقاء، فالتحريف والتدليس سيطال الرواية كلما تطاول عليها الأمد، ما يُحتِّم الإسراع في توثيقها.

أما والدة الفقيد الأستاذ عباس الزين وهي الحاجة آمنه محمد عباس؛فقد كانت امرأة فاضلة ورثت الأخلاق المحمدية ونشأت وترعرعت وشابت عليها. وجده لأمه هو الحاج عباس بن محمد بن الشيخ علي بن الجبارة، مؤسس القرية. أخذ الحاج عباس الطريقة القادرية البدرية عن الشيخ العبيد بن بدر، إذ تقول الرواية أنه عاصره في آخر أيامه وتلمذ عليه، واستمرت علاقته بخليفتي الشيخ العبيد بن بدر الأول؛ الخليفة أحمد بن بدر، والثاني: الخليفة حسب الرسول بن بدر. وقد حفظ الحاج عباس القرآن الكريم على يد الخليفة حسب الرسول بن بدر بأم ضواً بان(16)، وظلَّ ملتزماً بالطريقة القادرية البدرية إلى أن توفاه الله في العام 1940م(17). وللحاج عباس من المآثر ما يحفظه الأهل وتتناقله الأجيال جيلاً عن جيل. فقد كان رجلاً صالحاً تقياً نقياً عاش حياة كريمة مليئة بالصلاح والورع. ولا ريب أن فقيدنا المترجَم عليه رحمة الله قد ورث الخصال الكريمة عن آبائه وأجداده، فهي ذرية بعضها من بعض، إذ تنقَّلت النُّطف النورانية في أسارير غُرر الجباه إلى أن وصلت إلى محل سر الله المكنون في خلقه، فانبلجت طوالع النور الرباني في فقيدنا طيب الذِّكر والأثر، فأكرِم به خير خلَف لخير سلف.

كانت هذه هي عصارة المرتكزات الفكرية والروحية وزبدة خلاصة الآفاق المعرفية المحلية التي تشرَّبت بها روح فقيدنا،إذ توَّجته بلطائف العرفان، وألبسته ثوب الإحسان، فتقبله ربه بقبول حسن وأنبته نباتاً حسناً، فتبدَّى جماله للقاصي والداني.

نشـأ الأسـتاذ عبـاس في هـذه البيئـة الخصبـة المليئـة بالعطـاء والبسـاطة، فقـد كان قوامهـا مرتكـزاً عـلى الزراعـة وتربيـة المـواشي فيـما يرتبـط بالاقتصـاد المعيـشي. وفي ذلـك الزمـان إبَّـان أربعينيـات القـرن العشريـن؛ كان مـشروع الجزيـرة قـد بلـغ أشُـدَّه، وبـدت آثـاره عـلى حيـاة المجتمـع، ويمكـن أن نسـتجلي ذلـك في التطـور الـذي ظهـر جليـا في اهتـمام النـاس بالتعليـم النظامـي، إضافـة إلى التطـور العمـراني، إذ عـرف أهـل تلـك المنطقـة المبـاني المشـيدة بالطـوب الأحمـر منـذ زمـنٍ مبكـر. هـذا إلى جانـب الحـراك الثقـافي الـذي لاحـت بوارقـه في المنطقـة مـع عـصر الاسـتنارة ووقـوف البـلاد عـلى عتبـة الانعتـاق مـن الاسـتعمار، ويُعـدُّ إقليـم الجزيـرة مـن أوائـل أقاليـم السـودان التـي بـذرت بـذرة المقاومـة وسـلوك طريـق الاسـتقلال.

كان الفضـاء الثقـافي في المنطقـة بشـكلٍ عـام وفي القريـة بشـكلٍ خـاص مُفعـماً بـروح التصـوف والقـرآن. وقـد كان الحلاويـن مـن أكـثر الذيـن تمسـكوا بحفـظ القـرآن الكريـم في ذلـك الزمـن، إذ كان الآبـاء يحرصـون عـلى توريـث حفـظ القـرآن الكريـم لأبنائهـم وبناتهـم، وكانـت هـذه هـي أبـرز السـجايا التـي تُنَشَّـأ عليهـا الأجيـال. فقـد أُسِّـست في القريـة خلـوةٌ لتحفيـظ القـرآن الكريـم، أقـام عمادهـا الفـكي محمـد بـن الفـكي عبـد اللـه بـن الشـيخ عـلي بـن الجبـارة، وهـو عـمٌّ مبـاشر لوالـد فقيدنـا عليـه رحمـة اللـه تعـالى. وتعاقـب عليهـا شـيوخٌ كُـثر مـن داخـل القريـة وخارجهـا[18]. وقـد نـال فقيدُنـا شرفَ الانتـماء إلى هـذه المؤسسـة التعليميـة، فـورد مشـاربها ونهـل مـن مناهلهـا العذبـة. ولهـذه المؤسسـة صنـو آخـر وشريـك أصيـل أثـرى وجـدان الإنسـان السـوداني أيَّمـا إثـراء، ألا وهـو المسـيد. وفي هـذا الصـدد كان المـزاج الصـوفي هـو التيـار الفكـري والروحـي السـائد والغالـب في المنطقـة وبشـكل تقليـدي بسـيط لا تعتريـه التوجهـات الفكريـة المعقـدة ولا المـدارس الفلسـفية المتباينـة، مـع أن هـذا التيـار كان ممزوجـاً بنزعـة الفكـر الثـوري المهـدوي عنـد الكثيريـن مـن أهـل المنطقـة. فالسـادة الحلاويـن يعـدُّون مـن أوائـل الذيـن نـاصروا فكـرة الثائـر محمـد أحمـد المهـدي. بـل إن المنطقـة تُعـدُّ مدرسـة فكريـة شـاركت في إعـداد شـخصيته؛ إذ شـارك في ذلـك الشـيخ القـرشي بـن الزيـن والأمـير محمـد بـن البصـير [19] مـا يعنـي أن هنـاك بوتقـة فكريـة تمازجـت فيهـا ألـوان الطيـف الصـوفي ممثـلاً في شـقيه؛ الطيـف الصـوفي الـذي يرتكـن إلى البُعـد عـن الصراعـات السياسـية فيجنـح إلى السـلم ومعايشـة النـاس وقضـاء حوائجهـم، وينـأى عـن مزالـق السياسـة التـي تصرفـه عـن مهامـه المتمثِّلـة في إرشـاد النـاس ومعالجـة قضاياهـم.

أما الشِّقُّ الآخر فهو الطيف الصوفي الثائر الذي آثر عدم الركون إلى الاستسلام، فرفع راية الجهاد ومجالدة المستعمر. وبالطبع فإن هذا التيار تمثل في الثورة المهدية وأثرها الفكري والروحي في المنطقة.

كان لهذين التيارين الصوفيين موطئ قدم راسخ في المنطقة. فالتيار الصوفي التقليدي كان موجوداً ومتمثلاً في بعض مشارب التصوف التي انتشرت في السودان. فقد أرست الطريقة السمانية دعائمها في المنطقة على يد الشيخ أحمد البصير الحلاوي الذي تلقَّى إمدادها من القطب الكبير الشيخ أحمد الطيب بن البشير.وكذلك الشيخ القرشي بن الزين الذي أخذ العهد أولاً عن الشيخ أحمد البصير، ثم زاده رباطة وثقة عن الشيخ أحمد الطيب بن البشير.وكذلك فرع البيت الطيبي في منطقة الحلاوين متمثلاً في أسرة الشيخ الصديق بن الشيخ أحمد الرفاعي بن الشيخ أحمد الطيب بن البشير بقرية مناقزا الحلاوين، رضي الله عنهم جميعاً.

أما المشرب الثاني فهو المشرب القادري بمختلف مدراسه، وبخاصة المدرسة البدرية التي توثقت عُراها بوجود بعض أفراد أسرة الشيخ العبيد بن بدر في المنطقة، وتجسد ذلك بشكل أعمق في وجود الشيخ الطيب بن السائح في المنطقة.

وهناك مشرب ثالث فاضت بحوره وجادت به كفُّ الحقِّ على المنطقة؛ وهو الطريقة الختمية التي أدخلها الخليفة الماحي بن الفكي الجبارة وكان قد أخذها عن السيد محمد عثمان الختم، ثم فتئت تنتشر في المنطقة [20] إذ سلكها عدد كبير من أهالي المنطقة، ومنهم الفكي أحمد بن منصور رحمه الله، على سبيل المثال لا الحصر، مع أنه جاء متأخراً عن الخليفة الماحي بن الجبارة.

مثلت هذه المشارب الثلاثة الذوق العام في المنطقة. لكن فقيدنا كان أكثر تأثُّراً بالمدرسة القادرية البدرية، إذ كان والده وجدُّه الأول قد ارتويا من فيوضات هذه المدرسة، طالما أن الشيخ الطيب بن السائح هو حامل لوائها وحادي عِيسها. فكان من الطبيعي أن ينال فقيدنا قسطاً وافراً مما أفاض به مديرو الكؤوس على أرواح المحبين. هذا وقد كرع فقيدنا من دِنان هذه المدرسة ذات المنهل العذب، فأثمر فيه ما يدفع الهِمَّة الإنسانية إلى استشراف أطيب المعاني، فنمت فيه شجرةٌ طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها إحساناً وعرفاناً وحباً للخير.ووفقا لروايات الأهل؛ فإن الفقيد كان محباً لأهل الطريق، متعرِّضاً لنفحاتهم.

وفي زهرة شبابه وحينما كان مستقراً بالقرية كان فرداً مشاركاً مع الأهل برفقة الشيخ الطيب بن السائح في بناء المساجد في مختلف مناطق الإقليم الأوسط. وقد كان جُلُّ المريدين يشاركون الشيخ في هذه الأعمال الجليلة، سيما وأنَّ قِوامها مبني على العمل الطوعي، فليس هناك جهة رسمية تتبنى هذا العمل وتتكفل به. فهنيئاً لفقيدنا أن يدخل دائرة الذين أثنى عليهم الحق تبارك وتعالى لما بذلوه من عمارة المساجد بالبناء والتعمير بالذكر وبذل النفس والمال إذ قال عز مِن قائل: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَوَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ★ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ**﴾[٢١] هذا بالإضافة إلى شهود المواسم والأعياد في مسائد القوم بمختلف مشاربهم في المنطقة، إذ كان الأهل بالقرية والمنطقة بشكل عام يشكِّلون حضوراً طيباً في مواسم القوم وبرامجهم[٢٢]

## نافذة فنية في حياة الفقيد عليه رحمة الله:

كانت القرية تضج بحركة فنية خلال فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، وقد بدأ هذا الحراك؛ المرحوم محمد أحمد محمد الطيب، وهو الشقيق الأكبر للفنان الراحل بادي محمد الطيب وابن عم فقيدنا الأستاذ عباس، رحمهم الله جميعاً. وكذلك هناك أفرادٌ آخرين بالقرية حملوا على عواتقهم رفع لواء الحراك الفني بالمنطقة، وأخذوا يثرون حفلات الأعراس وليالي الأنس والثمر ومختلف الأنشطة الثقافية بقرى المنطقة، فلم يكن فقيدنا بمعزلٍ عن هذا الحَراك، إذ كان مشاركاً فيه بشكلٍ أصيل داخل وخارج القرية. وبعد أن انتقل الفنان الراحل بادي محمد الطيب إلى العاصمة الخرطوم، واستوى على سوقه كمطرِب شعبي يتغنى بأغاني الرواد من جيل الحقيبة الأول والثاني، ورواد المدارس الوتَرية الأولى والثانية، وأصبحت له أغنيات خاصة به، وصنع له حيزاً كبيراً في خارطة الغناء السوداني، وأفُقاً شاسعاً في وجدان المستمع السوداني؛ رافقه فقيدنا في مسيرته الفنية لفترة من الزمن ليست بالقليلة، إذ عمِل كعضو بالفرقة المصاحبة في وظيفة عازف للإيقاع (لوحة. 4). ويقول شقيقه الأستاذ عمر الزين الطيب أنه قد انضم إلى فرقة الفنان بادي محمد الطيب في العام 1965 وظل ملازماً له حتى العام 1985[٢٣]. ولم يكن هذا العمل عنده عبارة عن مهنة يتكسَّب منها المال، بل كانت هواية يمارسها مع ابن عمه بادي محمد الطيب. فلم

يكـن يتعامـل مـع المطربـين الآخريـن إلا في حفـلات مشـتركة مـع الفنـان بـادي، أو خـلال تسـجيلات مشـتركة في الإذاعـة أو التلفزيـون [٢٤] كانـت الفـترة التـي عمـل فيهـا مـع ابـن عمه الفنـان بـادي محمـد الطيـب عبـارة عـن عشريـن عامـاً حافلـة بـكل مـا هـو جميـل ورقيـق وطيـب. بـل إنـه سـاكن ابـن عمـه الفنـان بـادي محمـد الطيـب بمنزلـه في حـي العباسـية بأم درمـان لفـترة تربـو عـن الثلاثـة عقـود. وبعـد أن تـرك العمـل في هـذا المجـال لم يـترك خلفـه إلا السـيرة الحسـنة واحـترام الزمالـة ودماثـة الأخـلاق، وذلـك بشـهادة مـن رافقـوه في ذلـك العمـل.



**لوحة، (4). الأستاذ عباس الزين عازفاً للإيقاع مع الفنان بادي محمد الطيب.**

## الحياة المهنية للفقيد طيَّب الله ثراه:

عـاش الفقيـد بـين أهلـه في القريـة فـترةً مـن الزمـن، فمنـذ أن كان طفـلاً إلى أن أصبـح شـاباً في العشرينيـات مـن عمـره؛ كان ملازمـاً لوالـده بالعمـل معـه في الزراعـة، فقـد كان والـده يملـك أرضـاً زراعيـة تقـع ضمـن نطـاق مـشروع الجزيـرة المـروي، فـكان خـير معـين لـه في كافـة أعـمال فلاحـة الأرض، مـع العلـم بأنـه لم يكـن متفرغـاً بشـكل كامـل للزراعـة، إذ انتقـل مـن القريـة بحثـاً عـن التعليـم النظامـي، لكنـه وبشـهادة الأهـل لم يكـن يجلـس

عاجـزاً عـن مسـاعدة الأهـل في أعـمال الزراعـة في أوقـات فراغـه، عـلاوة عـلى ذلـك؛ كان لوالـده دُكانـة تبيـع السـلع الاسـتهلاكية لسـكان القريـة، فـكان الفقيـد يسـاعد والـده بهـا (لوحـة. 5). وبعـد أن تخـرج مـن المدرسـة الوسـطى؛ ظـل يعمـل بالزراعـة لفـترة مـن الزمـن، إلى أن انتقـل إلى الخرطـوم واسـتقر بهـا وظـل مرافقـاً للفنـان بـادي محمـد الطيـب.



**لوحة، (5). المنزل الذي تربى فيه الفقيد وبجانبه دُكانة والده في قرية حلة عباس بالحلاوين.**

بعـد أن نـال فقيدنـا مـا يؤهلـه للالتحـاق بالسـلك الوظيفـي في القطاعـين الحكومـي والخـاص؛ جاءتـه الفرصـة للالتحـاق بجامعـة الخرطـوم للعمـل بمكتبتهـا، وذلـك في العـام 1968. وظـل يعمـل بمكتبـة السـودان التـي تُعـد إحـدى فـروع المكتبـة الرئيسـة بجامعـة الخرطـوم، لكنهـا كانـت ولا تـزال مختصـة في عـرض أدبيـات الدراسـات السـودانية وتقديـم خدمـات الاطِّـلاع للباحثـين بكافـة مراحلهـم الدراسـية والبحثيـة. وقـد ظـل فقيدنـا ملازمـاً لمكتبـة السـودان إلى أن تقاعـد للمعـاش في العـام 2005م. ولم يفـارق المكتبـة التـي أحبهـا وأحبتـه وعرفهـا وعرفتـه حتـى بعـد سِـنِّ المعـاش، بـل ظـل يعمـل بهـا إلى أن توفـاه اللـه (لوحـة. 6). وفي هـذه المكتبـة كُتبـت قصـة حياتـه الحقيقيـة وعرفـه النـاس وظـل نبراسـاً وأنموذجـاً يُحتـذى ومثـالاً للإنسـان الكامـل. رحمـه اللـه رحمـة واسـعة.



**لوحة، (6). الأستاذ عباس الزين الطيب في أزهى ملامح شبابه.**

## جانب حِرَفي في حياة الفقيد نوَّر الله قبره:

لقد جمع فقيدنا صنوفاً من المعارف والمواهب والإبداعات. وفي هذا المقام جاء إبداعه متجسداً في حرفة الخياطة، فقد كان بدُكانة والده ماكينة خياطة يعمل بها بعض أفراد الأسرة، فضلاً عن بعض الخياطين المتفرغين لهذه الحرفة. وهنا وجد فقيدنا فرصة لتعلُّم الخياطة وتفصيل الملابس، سيما الرجالية منها، فكان يستغل أوقات فراغه للعمل بالخياطة، فيخيط ملابسه وملابس الأسرة، مع العلم بأنه لم يحترفها للتكسُّب، بل كان يرتادها من حين إلى آخر وعند الحاجة. وكان يجد المتعة في رتق ما تفتَّق من ملابس الأسرة وإصلاح عطبها، كما كان يهتم بتفصيل ملابس الأطفال البلدية كالجلابيب وملحقاتها. واستمر يمارس هذا العمل ممارسة الفنان الذي يجد لذَّةً في التفصيل والتطريز، وظل ملازماً له ما حانت له فرصة لزيارة القرية حيث البيت الكبير وماكينة الخياطة التي عشقها وعشقته، إلى أن وافاه الأجل المحتوم. وهذه الماكينة التي رافقته زمناً طويلاً من عمره لا تزال موجودة (لوحة. 7)، وأدوات الخياطة خاصته ما زالت موجودة محفوظة في دولابه الخاص بالقرية.



**لوحة، (7). ماكينة الخياطة التي كان يعمل بها الفقيد في أوقات فراغه.**

## أرَجٌ من نفح الطيب:

تجلت أفضال الحق تبارك وتعالى على فقيدنا ورحمته به في أن جعله سمحاً طيباً عطوفاً رؤوفاً. ومن هنا؛ يمكننا حصر سماته الشخصية في خمس خصال تمثلت في: الأدب، الحياء، الزهد، قِلة الحديث، الإيثار. تالله إن هذه لهي أركان التصوف التي تزيَّا بها أربابُ النُّهى والقُرب من الحقِّ تبارك وتعالى. وكانت هذه الخصال هي قطب الرَّحى الذي دارت فيه حياته. ولا شك أن من يتحلى بهاتيك المعاني السامية سيكون طيب النفس نقيّ السيرة، ولن تخالج دخيلته أدنى أمراض القلوب التي تعكر صفو الإنسان وتهوي به في مهاوي الدنيا الذليلة وملذاتها التي تجعل الإنسان كالأنعام بل أضلُّ سبيلاً، وتُبعده عن الترقِّي في مدارج السمو الروحي.ولا نقول ذلك من ضرب الخيال، فقد رفدتنا الكثير من الأحداث والمواقف بشذرات من طيب أخلاقه وحسن معشره. كما حاولنا استقصاء واستقراء ذلك من معارفه وأهله وأصدقائه، وكلهم يلهج بأسمى آيات الآداب والحكمة التي كان يتحلى بها فقيدنا. ولعل ذلك يبدأ بفضائل تعامله مع أهله وأقاربه، وهو في ذلك ممتثلٌ لأمر الحق تبارك وتعالى حين قال

وهو عز مِن قائل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٢٥]، وقول الصادق المصدوق ﷺ في الحديث الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها: "خيركم؛ خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"[٢٦].

نال فقيدنا أعلى درجات الحب عند والديه، فقد حُظي غير الحب الفطري الذي يكنُّه الوالدان لأولادهما بحظوات واسعة من الحبّ، وذلك نابع من تقديره وأدبه الجمّ معهما، فقد أخبرني أحد أفراد الأسرة أن الفقيد كان عطوفاً على والديه أشد العطف [٢٧] وكان باذلاً لنفسه في سبيل تلبية ما يطلبانه، ولا يتأخر عن ذلك مهما كانت الأسباب. كما كان الأبَوَان أشد حرصاً على راحته والحفاظ على ممتلكاته. وعلى الرغم من أن كل الصفات أعلاه هي مشاعر طبيعية وسجايا روتينية بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الوالدين والأبناء إلا أن فقيدنا قد زاد عليها بمزيد من حسن الخُلق والحياء.

كما أبهر فقيدنا العقول بحسن فعاله مع أفراد الأسرة القريبة والممتدة، فقد كان الصغير عنده مجَاب الطلبات قبل الكبير، فما طلب إليه أحد شيئاً إلا وقضى له حاجته ولو كانت تلك الحاجة من باب الدُّعابة، إذ أفنى حياته في راحةِ أهله وأصدقائه، وكان يبذل في ذلك كل ما يملك من غير منٍّ ولا أذى.

وفوق ذلك كان الفقيدُ مشاركاً لأهله في كلِّ أفراحهم وأحزانهم في القرية أو العاصمة، إذ كان سبَّاقاً لتأدية واجب العزاء في كل أفراد القرية من أهله وغير أهله، وذلك بالسفر من الخرطوم إلى القرية. وقد استمر على ذلك حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى، فلم يمنعه تقدُّم السن وضعف البدن ولا الظروف المادية.

كان الفقيد مثالاً نادراً في زهده وجفائه للدنيا الفانية، فلم يعرف عنه جمع المال والاهتمام به واللُّهاث وراءه، إذ اقتصر عمله على مكتبة جامعة الخرطوم، فكان يتقاضى مرتبه الحكومي ولا يبحث عن زيادة له، ويعيش بذلك راضياً كل الرضى، وتبدو السعادة في إهابه. فقد كان بسيطاً في أكله وشربه ومظهره وتعامله مع الناس، بعيداً كل البُعد عن التكلف والانزلاق خلف ملذات الدنيا. وكان فوق ذلك يُعظِّم نعمة الله وفضله عليه وعلى الناس، فقد رأيته بأمِّ عيني وهو يجمع ما تبقى من طعامه في الكافيتريا فيأخذه معه ليأكله من يحتاجه من الناس، وإذا لم يجد أحداً من الناس نثره للطيور في حديقة المكتبة.

كان الاطِّلاع والمسامرة بقراءة مختلف الكتب التي تتناول شتى المجالات من أهم سمات فقيدنا عليه رحمة الله، فقد أخبرني أحد أقاربه أنه كانت له عادة ثابتة، وهي أنه عندما يخلُد إلى النوم كان يتناول كتاباً ويقرأ فيه إلى أن يداعب الكرى عينيه فيضع الكتاب جانبا. وعندما يأتي إلى القرية في زياراته الروتينية كان يُحضر معه بعض كتبه الخاصَّة أو بعض النسَخ المصوَّرة من الكتب، ويمارس فيها عادته المفضلة وهي القراءة قبل النوم. وفي آخر أيامه استبدل ذلك بالتركيز على قراءة القرآن الكريم، إذ كان يُكثر منها، وقد شهدناه في المسجد وهو ممسك بالمصحف على الدوام قبل وبعد الصلاة، وكثيراً ما كان يمكث لمدة من الزمن في المسجد بعد الصلاة. بل وكان كثيراً ما يختلي بربه في أويقات السحر وتنزُّل الرحمات واقفاً بين يدي الحق عز وجلَّ مصلياً وتالياً لآيات الكتاب العزيز. جاء ذلك على لسان أحد من أخذنا عنهم آثاره ومآثره[٢٨].عاش فقيدناً حصوراً عفيفاً كابحاً لجماح النفس عن التبذُّل والانحطاط. فأنعِم بها من حياة كريمة لها ما بعدها من النعيم بإذن رب العالمين.

أجدني واقفاً أمام علمٍ من الأعلام الربانية، وطودٍ أشمٍّ كسته الأسرار النورانية، إذ أجد نفسي عاجزاً عن جمع أشتات هذه الشخصية الفريدة، وناكباً عن الطريق التي توصلني إلى دقائق الحقائق ولطائف الرقائق التي تساعدني على التنقيب عن مكنوناتها الطيبة، فإنني أقف أمام أنموذج حي من النماذج التي وصفها الشيخ عبد الغني النابلسي حينما قال:

دخلوا فقراء إلى الدينا**وكما دخلوا منها خرجوا

إذ كانت الدنيا عنده مجرد محطة توقف عندها لبُرهة لم يأخذ منها شيئاً من المتاع، فقد عاش وحيداً لم يتزوج ولم يداعب أطفالاً من صُلبه، مع أنه كان يحب الأطفال أشد الحب. وفوق ذلك لم يكتنز المال ولم يجرِ خلفه. فهو رجل جاء إلى هذه الدنياً كالغيمة التي تتسلَّل والشمس في أوج حرِّها، ورحل كالشمس التي غربت والناس في أشد الحاجة إليها خوفاً من الظلمة والبرد. عاش خفيفاً بين الأهل والمجتمع، فلم يُثقل على أحد حتى في آخر أيامه، فمِن أجلى بوارق العناية الإلهية به أن انتقل إلى رحمة مولاه وهو يعتمد على نفسه في حركاته وسكناته، فلم يلزم الفراش ويصبح ثقيلاً على من يلازمونه، إلى أن أزفت لحظة الرحيل، إذ فاضت روحه إلى بارئها في الثامن من شهر رمضان المبارك من العام 1442ه الموافق للثاني من مايو 2020م، ووُري الثرى بمقابر الشيخ حمد النيل بأم درمان.

كان هـذا العمـل فرصـةً طيبـة أتيحـت لي حتـى أُوثِّـق لرمـزٍ نـادر الوجـود، فقـد طربـت نفـسي أيَّمـا طـرب وأنـا أقـفُ أمـام تاريـخ حافـل بـكل مـا هـو جميـل وأسرد تفاصيلـه الشـائقة. وقـد طفِقـتُ أبحـث عـن كل مـا يعينني عـلى تحبـير مسـودة أسـطِّر في صفحاتها حيـاة الفقيـد الأسريـة والبيئـة التـي نمـا فرعـه وأزهـر شـبابه فيهـا، فلـم أجـد عنـاءً في ذلـك لأننـي قصـدت الأهـل والعشـيرة، ولسـان حالهـم يُنبـئ عـن السـعادة التـي غمرتهـم وهـم يـروون عنـه أطيـب الـكلام، فهـو امـرئٌ قـد تربـع عـلى عـرش المحبـة، وتسـنَّم أسـنى ذُرى المجـد في قلـوب الأهـل والأصدقـاء وزمـلاء المهنـة. ولا يسـعُنا إلا أن نتوجـه إلى الكريـم المنَّـان؛ متوسِّـلين إليـه بذاتـه وصفاتـه وأسـمائه الحسـان أن يُنـزل فقيدنـا منـازل الصديقـين والشـهداء والصالحـين وحسُـن أولئـك رفيقـاً وأن يُدخلـه في شـفاعة الحبيـب المصطفـى صـلى اللـه عليـه وسـلّم، إنـه ولي ذلـك والقـادر عليـه، وصـلى اللـه عـلى سـيدنا محمـد النـور وآلـه، عـدد كـمال اللـه وكـما يليـق بكمالـه، والحمـد للـه أولاً وآخـراً.

# الهوامش

1. التوبة، الآية: (119).
2. رواه الطبراني في "الأوسط"(7697).
3. محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل حسن، الطبعة الأولى. دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، 1971.
4. رواية شفهية، الماحي محمد عثمان منصور، السنية الحلاوين، مزارع، 2018.(
5. محمدالطيب عمر، شجرة نسب الحلاوين، المطبعة الحكومية، الخرطوم، 1965.
6. McMichael, H. A. 1922. A History of the Arabs in the Sudan, In Two Volumes. Cambridge University Press.
7. عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، الجزء الثاني، شركة أفروقراف للطباعة والتغليف، الخرطوم، 1996.
8. محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهدية، الطبعة الثالثة، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1989.
9. رواية شفهية، حسب الرسول بابكر إدريس، الدبيبة عبد الله، مزارع، 2022.
10. عمر عثمان علي وآخرون، قيد الطبع، آل الطيب عبد الله، تاريخ مشرق وعطاء غير محدود، كتاب توثيقي لأسرة الطيب ود عبد الله.
11. عبد الله علي إبراهيم، الصراع بين المهدي والعلماء، الطبعة الثانية، دار نوبار للطباعة، 1994.
12. -محمد إبراهيم أبو سليم، الخصومة في مهدية السودان، كتاب في تاريخ فكرة المهدية إسلامياً وسودانياً، إصدارات مركز أبو سليم للدراسات، الطبعة الأولى، الخرطوم، 2004.
13. رواية شفهية، الشريف أبو كساوي محمد عبد الله، حلة عباس، مزارع، 2010.
14. صديق البادي، معالم وأعلام، شركة المروة للطباعة والنشر، 1994.
15. عمر عثمان علي وآخرون، مرجع سابق، ص 8.
16. رواية شفهية، الأمين بشير عباس، حلة عباس، مزارع، 2021.
17. محمد معتصم الطيب، عن قريتنا حلة عباس وعن الحلاوين وأسماء بعض القرى، بحث غير منشور، بدون تاريخ.
18. محمد معتصم الطيب، نفس المرجع، ص 6.
19. محمد الطيب البصير، سلسلة أعلام الحلاوين (1) الأمير محمد الطيب البصير (ود البصير) نائب الإمام المهدي وأمير أمراء الجزيرة. الطبعة الأولى، مطابع السودان للعملة، 2010.
20. عثمان حمد الله، التعارف والعشيرة. دار الثقافة، بيروت. 1965.
21. سورة التوبة، الآية 18.
22. رواية شفهية، أحمد الطيب محمد الطيب. حلة عباس، مزارع، 2021.
23. رواية شفهية، عمر الزين الطيب، الخرطوم، موظف متقاعد، 2021.
24. دفع الله محمد الطيب، أم درمان، موظف متقاعد، 2021.
25. سورة الشورى، الآية 23.
26. جامع الترمذي، أبواب المناقب، باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 3990.
27. رواية شفهية، أحمد الطيب محمد الطيب. حلة عباس، مزارع، 2021.
28. رواية شفهية، أحمد الطيب محمد الطيب. حلة عباس، مزارع، 2021.

# الفصل الثاني

# من صور الإيمان بالواجب

# من صور الإيمان بالواجب

أ.د. عبد الله محمد أحمد

قسم اللغة العربية – كلية الآداب
جامعة الخرطوم

لـكلِّ إنسـانٍ عشـقٌ في هـذه الحيـاة ومـن عشـق عملَـه وأحبّـه وأتقنـه كان حقيقـاً بـأن يقـفَ بـين يـدي الملـوك وأعظـمُ عشـقٍ في هـذه دنيـا هـو عشـقُ الكتـاب. وقـد عـاصرتُ في سـنيِّ خدمتـي للجامعـة أمنـاءَ للمكتبـة كانـوا عونـاً صادقـاً للباحثـين والدارسـين في مضـمارِ البحـث العلمـي. وهـا أنـذا بصـدد الحديـث هاهنـا عـن أحـدِ أبـرز هـؤلاء الأمنـاء الذيـن كنـت أسـتعينُ بهـم في البحـث العلمـي كـما يسـتعينُ بهـم كثـيرون غـيري خاصَّـةً في مكتبـة السـودان. أُنشِـئت مكتبـة السـودان وهـي فـرعٌ مـن المكتبـة الأم في عـام 1960 لِتَضُـمَّ كلَّ مـا كُتـب عـن السـودان المعرفـة كـما تضـمُّ كلَّ مـا صنَّـف فيـه الكُتَّـاب السـودانيون في شـتَّى ضروب المعرفـة وهـذه المكتبـة عـلى ثلاثـة أقسـام: قسـمٌ للكتـب - وقسـمٌ للدوريَّـات - وثالـثٌ للرسـائل الجامعيـة. تقـع المكتبـةُ في إحـدى المبـاني العتيقـة مـمَّا خلّفـه المسـتعمر وهـي مـن المبـاني التـي كأنمَّـا يزيدهـا تعاقـبُ الأيَّـام سـحراً عـلى سِـحر. فـإذا دلفـتَ مـن بـاب المبنـى الرئيـسي أخـذتْ ببـصرك دوحـةٌ غنّـاءُ مثمـرةٌ ضاربـةٌ بجذورهـا في الأرض وهـي تحنـو بظلالِهـا عـلى المدخـل، وربمَّـا هـبَّ نسـيمٌ ذو دلال فحـرّك أغصانَهـا فداعبـت تلـك الجـدرانَ العتيقـةَ، فأعجـب لقصَّـة حُـبٍّ بـين الشـجر والحجـر تـدومُ عـلى مـرِّ الأيَّـام. وفي الجانـب الجنـوبيِّ مـن المدخـل عتبـاتُ درجٍ قديـم تُفـضي بـك الى بهـوٍ كبـير سـقفه مرتفـع صُفَّـت فيـه مقاعـدُ يجلـس عليهـا الدارسـون وعليـه مهابـةٌ إذ جلسـت فيـه أجيـالٌ مـن العلـماء الأفـذاذ عـلى مـرِّ العقـود المتعاقبـة فـإذا نظـرتَ بعـينِ الخيـال رأيـتَ عليهـا رجـالاً مـن أبنـاء الوطـن كانـوا مـلء السـمع والبـصر بأيديهـم الطـروسُ والأقـلام يكتبـون، طوتهـم المنيـة ولكـن بقيـت آثارُهـم الدالَّـة عليهـم. وعـلى يسـارك بـاب يُفـضي بـك إلى قاعـةٍ صُفَّـت فيهـا أرفـفٌ معدنيَّـة تحـوي كلّ مـا كُتـبَ عـن السـودان أومـا جـادت بـه قرائـحُ علمائـه فهـو مـكانٌ يحـوي إرثَ هـذا الوطـن فكأنمَّـا اجتمـع عطـرُ الدنيـا كلَّـه فيـه. فـإذا طفـتَ بالمـكان صادفـتَ كهـلاً جميـلَ المحيَّـا وقـورَ السَّـمتِ وئيـد الخطـو كثـيرَ الصمـتِ باسـمَ

الثغـر في غـير تكلُّـف، لا تُحـسُّ بوجـودِه حتـى تـراه فشـعارُه السـكينة فكأنَّـه عابـدٌ في مِحرابِـه أو راهـبٌ في صومعتِـه فـإذا حييتَـه ردَّ التحيَّـةَ في أدب جـمّ فـإذا سـألته عـن كتـابٍ أو مجلـةٍ أو رسـالة التمعـت عينـاه ولم يُجـب وانـصرف عنـك ثـم مـا لبـث أن عـاد وفي يـده مـا تُريـد. ذلـك هـو الأسـتاذ عبـاس الزيـن. حدّثنـي العـالمُ الجليـل بروفسـير إبراهيـم الزيـن صغـيرون عـن تفانيـه في عملِـه وأخـبرني أنَّ اسـمَه معـروفٌ لـكلِّ الدارسـين الأجانـب الذيـن يؤمُّـون المكتبـة ليطّلعـوا عـلى كلّ أثـارةٍ مـن علـمٍ كُتبـت عـن السـودان وأكـثر الزائريـن مـن المملكـة المتحـدة فهـو يعـرفُ موضـعَ كلِّ كتـاب أو رسـالةٍ أو مجلـةٍ في المكتبـة فـكأنَّ عقلَـه أرشـيف ضخـمٌ يضـمُّ كلَّ مـا حوتـه المكتبـة. فطالمـا سَـفَرَ بـين الكتـب والدارسـين وحقيـقٌ بالذكـر أنـه كان أحـد الذيـن وضـع الفهـارس الفنيَّـة التـي تضـمُّ كلَّ مـا حوتـه تلـك المكتبـة مـن آثـار تيسـيراً عـلى الدارسـين. لا تجـدُه خاليـاً مـن العمـلِ أبـداً فهـو في حركـةٍ دائبـة؛ يُعيـد الكتـب إلى مواضعِهـا مـن الرفـوف أو يُعيـدُ ترتيبَهـا ويتفقَّـدُ مـا يحتـاجُ إلى صيانـةٍ منهـا أو إعـادة تغليـف. يقصـدُه المـؤرخُ والأديـبُ والباحـث في الـتراث الدينـي والاجتماعـي وغـيرِه في شـتَّى فنـونِ المعرفـة. أُحيـل للتقاعـد في 2005م اطَّلـع عـلى الخطـاب في أسى ولكـنَّ ذلـك الخطـاب لم يكُـن يعنـي لـه شـيئاً سـوى إيقـاف ذلـك الراتـب النـزر ولكنّـه لـن يضـع خاتمـةً لرحلـةِ العشـقِ والوفـاء فـداوم عـلى الحضـور إلى المكتبـة كدأبـه كلَّ يـومٍ يخـدم الدارسـين دون أن ينـالَ عـلى ذلـك أجـراً فحالُـه كحـال العبـد الـذي أعتقـه سـيِّدُه فـأبى إلا أن يُقيـمَ معـه يخدمـه كدأبـه فصـار عبـد عِتـقٍ بعـد أن كان عبـدَ رِقٍّ فهـو كـما قـال الشـاعر.

**عبدُ رقٍّ ما حنّ يومً لعتقٍ**

**لو تخلَّيتَ عنــه ما خـلاكـا**

ودام عـلى العهـد حتـى اختـارَه اللـه تعـالى لجـوارِه في الثامـن مـن رمضان1442هـ الموافـق الخامـس مـن أيَّـار 2020. وقـد كان عمِـل بالمكتبـة مـن عـام 1968 فاكتمـل لـه بذلـك مـا يزيـد عـن نصـف قـرن بالعمـل بالمكتبـة في أقسـامِها المختلفـة ولـه في خدمتِهـا سـيرةٌ عطـرة لا يختلـفُ عليهـا اثنـان. يعـزُّ عـليَّ أن أدخـل مكتبـة السـودان فأجـدُ موضعَـه منهـا خاليـاً فمكانُـه منهـا مـكان القطـب مـن الرَّحـا. وهـو مثـالٌ نـادر للوفـاء والتفـاني في أداء الواجـب وفي عشـقِه للكتـاب فـما ذُكـر عبـاس – طيَّـب اللـه ثـراه إلا وذكـر الكتـاب. يهـونُ عنـده النصـب ويتنـاسى الأسـقام في سـبيل أداء الواجـب. وقـد كان اسـمُه عـلى لسـانِ كلِّ دارس وباحـثٍ في شـئونِ السـودان داخـلَ السـودان وخارجَـه. جميـل الفعـال نـزرُ المقـال

قليـلُ المثـال لا يعـرفُ الـكلالَ ولا يعتريـه المـلال في سـبيل خدمـةِ العلـم وأهـل العلـم لا يرجـو جـزاءً ولا ينتظـرُ ثنـاءً. كان لـه دورٌ كبـير في خدمـة البحـث العلمـي لأنَّ الباحـث يحتـاجُ إلى الكتـاب ويحتـاج إلى أمـينٍ عـارف بالمكتبـة، ومـا الجامعـةُ إلا مكتبـة ومـن لديـه مكتبـةٌ في بيتِـه فلديـه جامعـة. وقـد كانـت بروفسـير فـدوى عبـد الرحمـن عـلي طـه مديـرةُ الجامعـة بسـبيل تكريمـه مـن بـاب الوفـاء ولكـنَّ المنيَّـةَ كانـت أعجـلَ مـن ذلـك رحـم اللـه تعـالى الأسـتاذ عبـاس الزيـن وأنـزل عـلى قـبرِه مـن شـآبيبِ رحمتِـه مـا تخـضرُّ لـه تربـةُ الجَـدَثِ وتُـضيء لـه ظلـماتُ القـبر.

# الفصل الثالث

## عباس الزين الطيب
## ( سادن مكتبة السودان)

# عباس الزين الطيب
# ( سادن مكتبة السودان )

د. محمد صلاح الدين محمد مضوي
دبي-الإمارات العربية المتحدة

## مقدمة:

حينما طلب إليَّ الكتابة حول الأخ عباس الزين الطيب، ترددت كثيراً في تلبية الطلب، لأنني وبكل صدق لست الأقرب للأخ عباس الزين الطيب، ولا الأعرف به، وخشيت أن يأتي ما أكتب دون مقام الرجل ومكانته في نفسي وفي نفوس الكثير من محبيه وزملائه وأصدقائه، ولكني كنت متأكداً أنني أكن للرجل محبة ومعزة خاصتين، فقد عملت معه وتعلمت منه وتعرفت إليه عن قرب. كل ذلك شجعني أن اكتب ما يجيش في خاطري، وكلي ثقة أن من حولي من أهل وأصدقاء وزملاء الفقيد سيجدون لي ألف عذر في تقصيري في إعطاء الرجل حقة ومكانته، فهو في مقام رفيع عند الكل، ونسأل الله أن يكتب له مقاماً علياً في مقعد صدق عند مليك مقتدر. لا اسمي ما كتبته ورقة علمية، إنما هي أقرب لتداعي المشاعر بلا قيود، أكتبها بحب وبإخلاص وأتمنى أن تعبر عن بعض ما أكنه ويكنه الزملاء والأهل والأصدقاء للفقيد الراحل من محبة وتقدير.

وحتى يتعرف القارئ غير الملم بطبيعة عمل الفقيد في مكتبة السودان فقد اخترت أن أبدأ الورقة بالتعريف بمكتبة السودان ومكانتها بالنسبة للباحثين والأساتذة وطلاب الدراسات العليا المهتمين بالدراسات السودانية، آملاً أن يلقي ذلك بعض الضوء على ما كان يقوم به الراحل الفقيد من جهد عظيم ومقدر في عون رواد المكتبة وطلاب العلم من داخل وخارج السودان.

## مكتبة السودان كنز السودان المعرفي:

نشأت مكتبة جامعة الخرطوم مع بدايات الجامعة، وعرفت أولاً بمكتبة دوجلاس نيو بولد السكرتير الإداري لحكومة السلطة الاستعمارية الذي تبرع بمجموعة قيمة من مكتبته الخاصة وكان جلها عن السودان وأفريقيا. وفقاً للمرحوم البروفيسور قاسم عثمان نور، فإنه وفي العام 1945م أهدى السير دوجلاس نيو بولد السكرتير الإداري لحكومة السودان (-1939 1945م) مجموعته الخاصة ومجموعة مكتب السكرتير الإداري إلى مكتبة كلية غردون (آنذاك) وبلغ عدد مجلداتها حوالي خمسة عشر ألف مجلد وقد أطلق على مكتبة الكلية (مكتبة نيو بولد). وحوت تلك المجموعة الكثير من كتب السودان. لكن نواة تلك الكتب والتقارير تشكلت وتكونت بالقاهرة وبالتحديد في تلك الوحدة التي أنشأها الرائد ريجالند ونجت والذي أصبح فيما بعد حاكماً عاماً للسودان (-1900 1916م) وذلك عندما كان ضابطاً في الجيش المصري (1883م) واختير ليؤسس قلم المخابرات والذي أوكل إليه جمع المعلومات والأخبار عن أوضاع السودان توطئة لغزوه فيما يعرف في التاريخ بـ (حملة النيل) وذلك في عام 1898م بقيادة الجنرال كتشنر. واستطاع ونجت خلال تلك الأعوام التي سبقت الغزو وتحرك الجيوش أن يجمع الكثير من التقارير والخرائط والكتابات وليساعد على تهريب بعض الأجانب من الذين كانوا أسرى بأم درمان أمثال الضابط النمساوي سلاطين باشا. وقد أهدى المستر نيو بولد أيضاً تلك المجموعة القيمة من الكتب والمستندات والخرائط التي جمعها ونجت باشا والتي كانت تعرف لدى الجهات الحكومية باسم "مكتبة السكرتارية"، وهي تلك المجموعة المتخصصة في الشأن السوداني، وكانت تتبع لوحدة استخبارات السودان[1].

وقد التفتت مكتبة جامعة الخرطوم ومنذ استلامها لتلك المجموعات لضرورة إنشاء قسم خاص بالدراسات السودانية لسد الفراغ الناجم عن غياب المكتبة الوطنية السودانية آنذاك، وقد شكلت المجموعتان اللتان أهداهما دوجلاس نيوبولد النواة الرئيسة لمكتبة السودان الموجودة حالياً.

وبمجرد إنشاء القسم وتعيين الموظفين للقسم بدأت الجهود الدؤوبة والعمل الجاد

(1) قاسم عثمان نور، مكتبة السودان بجامعة الخرطوم، عمود أوراق وأقلام، صحيفة آخر لحظة السودانية، تاريخ النشر: الأحد،7 فبراير2010.

لجمع وحصر كل ما هو متاح من الأعمال المنشورة عن السودان بغض النظر عن جنسية المؤلف، واهتمت المكتبة كذلك بجمع الأعمال التي ألفها مؤلفون سودانيون في مختلف التخصصات. ونمت بفضل الجهود المتصلة مجموعات مكتبة السودان لتصبح – كما اعتقد أكبر مكتبة متخصصة في الدراسات السودانية داخل وخارج السودان، حيث ضمت الكتب والدوريات والصحف ووقائع المؤتمرات المطبوعات الحكومية والخرائط والرسائل الجامعية. واستمرت مكتبة السودان منذ تأسيسها في تقديم خدمات مميزة للباحثين وطلاب الدراسات العليا وأصبحت قبلة لهم من داخل وخارج السودان.

جاء قرار إنشاء قسم السودان الذي عرف لاحقاً بمكتبة السودان في وقته، لأن إنشاء هذا القسم قد أسهم بشكل ملحوظ في حفظ الجزء الكثير من الإنتاج الفكري السوداني، ولولا جهود العاملين في القسم، لفقدت المكتبة السودانية الكثير من المؤلفات والمنشورات القيمة التي لا تعوض ولا تقدر بثمن[2].

في العام 1966 صدر قانون الإيداع السوداني، والذي شكل دفعة قوية لجهود تنمية مجموعات مكتبة السودان حيث جاء قانون الإيداع ليلزم الناشرين السودانيين بإيداع عدد من النسخ عن أي كتاب يصدر عنهم في مكتبة السودان بالإضافة لعدد من المؤسسات الأخرى ذات العلاقة منها دار الوثائق القومية. وقد استفادت مكتبة السودان من القانون أيما استفادة، حيث كانت تخصص جولات منتظمة يقوم بها العاملون في المكتبة للمكتبات ودور النشر للتعرف على الإصدارات الحديثة ومن ثم يقومون بمخاطبة الناشرين للإسراع بإيداع نسخ من الإصدارات في مكتبة السودان.

## مجموعات مكتبة السودان:

كما بذلت إدارات المكتبة المتعاقبة جهوداً كبيرة للحصول على أي من الإصدارات التي تقع في دائرة اهتمام مكتبة السودان والتي يصعب الوصول إليها عبر الناشرين، مثل الرسائل الجامعية ووقائع المؤتمرات والتقارير الحكومية والدراسات والأوراق الفنية التي تصدرها الجمعيات والمنظمات الطوعية، وغيرها من مصادر المعلومات المهمة بالنسبة للباحثين.

---

(2) محمد صلاح الدين محمد،دور مكتبة السودان في حفظ التراث الفكري السوداني،مجلة الثقافة السودانية – مجلة فصلية محكمة تصدر عن الهيئة القومية للثقافة والفنون، الخرطوم، العدد 32/33 (مزدوج)، 1997م ص 87-79.

وتمثل الرسائل الجامعية المقدمة للدراسات العليا في الجامعات السودانية وغير السودانية أحد أهم ما يميز مجموعات مكتبة السودان. ويقدر عدد مجموعة الرسائل في مكتبة السودان بما لا يقل عن 25 ألف رسالة ماجستير ودكتوراه منحت من جامعة الخرطوم، والجامعات السودانية، بالإضافة لعدد كبير من الرسائل الجامعية الممنوحة من مختلف جامعات العالم. تعرف الرسائل الجامعية المقدمة لنيل الدرجات العليا أنها من مصادر المعلومات الأولية، لأنها تقدم معلومات أولية أصيلة وتنسب نتائجها للباحث الذي أعد الرسالة، لذلك تعتبر مصدراً لا غنى عنه بالنسبة للباحثين وطلاب الدراسات العليا. وتأتي موثوقية الرسائل الجامعية باعتبار ما تقدمه من معلومات ونتائج تأتي بعد جهد علمي متصل لعدد من السنين، بمنهجية علمية ودراسة متعمقة ومتأنية، كل ذلك يجري تحت الإشراف الأكاديمي الدقيق، يتبع ذلك إجراءات علمية دقيقة يخضع بعدها الباحث للامتحان وتقرر لجنة علمية متخصصة في منح الدرجة العلمية من عدمها. ويعتبر الوصول للأطروحات المقدمة للدارسات العليا أحد أهم التحديات التي تواجه الباحثين، لمحدودية النسخ التي يتم إنتاجها، حيث ينتج الطالب نسخ لا تتجاوز في عددها أصابع اليدين من الأطروحة. وبذلك يصبح الوصول لتلك الأطروحة تحدياً كبيراً مع أهمية ما تقدمه من معلومات.

استطاعت مكتبة السودان وبفضل الكثير من الجهود والمتابعة أن تحول هذا التحدي لفرصة، فقد بذلت المكتبة جهداً حثيثاً ومكثفاً لجمع الرسائل والأطروحات الممنوحة من كلية الدراسات العليا في جامعة الخرطوم، عبر الاتفاقيات المؤسسية – منذ زمن بعيد بين مكتبة الجامعة وعمادة كلية الدراسات العليا، وضمنت تلك الاتفاقيات إيداع أكثر من نسخة من كل الأطروحات المقدمة لكلية الدراسات العليا في جامعة الخرطوم. وفي نفس الاتجاه سعت مكتبة الجامعة لتقنين الحصول على نسخ من رسائل الدراسات العليا الممنوحة للمبتعثين السودانيين بالجامعات العالمية وذلك عبر اتفاقية مع وزارة الخارجية السودانية بحيث تشرف السفارات والقنصليات السودانية بالخارج على الحصول على نسخ من الأطروحات وإرسالها لوزارة الخارجية، ومنها لمكتبة السودان. كذلك بذلت مكتبة الجامعة جهوداً مقدرة للحصول على تمويل من مؤسسة فورد الأمريكية تم تخصيصه للحصول على نسخ من الأطروحات الجامعية التي قدمت في الجامعات الأمريكية والتي تناولت موضوعات عن السودان أو التي أعدها مبتعثون سودانيون للجامعات الأمريكية.

كذلك وبفضل السمعة الممتازة التي حققتها مكتبة السودان عبر مجموعاتها الشاملة وخدماتها المتميزة، أصبحت المكتبة تتلقى نسخاً عن أطروحات انجزها باحثون غير سودانيون تقديراً لدور مكتبة السودان في مساعدتهم خلال مراحل إعداد دراستهم لنيل الدرجة العلمية. وكذلك يقوم عدد كبير من الباحثين السودانيين بتسليم نسخ من رسائلهم الجامعية لمكتبة السودان لضمان توفرها للباحثين وطلاب الدراسات العليا من داخل وخارج السودان. بذلك نجد أن الرسائل الجامعية الممنوحة من الجامعات غير السودانية من مختلف الدول في العالم قد شكلت إضافة نوعية كبيرة ومقدرة لبقية المجموعات التي تضمها وتوفرها مكتبة السودان. كما شهدت مكتبة السودان جهوداً كبيرة في بناء قاعدة بيانات إليكترونية تضم الرسائل الجامعية، حيث وابتداءً من العام 2003 تم توفير نسخة رقمية من الرسائل الجامعية.

تضم مكتبة السودان بالإضافة للرسائل الجامعية مجموعات متنوعة من المنشورات السودانية النادرة مثل مجموعات الصحف السودانية منذ الخمسينات والمجلات السودانية وميزانيات حكومة السودان منذ الحكم الإنجليزي، ومجموعات كبيرة من المؤلفات السودانية، بالإضافة لأعداد كبيرة من التقارير الفنية والدراسات والاحصاءات والمطبوعات الحكومية وعدد من الخرائط. كما تمتلك المكتبة مجموعة من المواد المحفوظة في شكل المصغرات الفلمية (المايكروفيش).

وعلى صعيد آخر فقد أسهمت مكتبة السودان في توثيق الإنتاج الفكري السوداني، حيث تم إصدار الفهرس المصنف لمجموعة السودان وملاحقه وهو بمثابة الببليوغرافية الوطنية التي تعنى برصد وحصر الإنتاج الفكري السوداني.

شهدت مكتبة السودان تطوراً كبيراً في بداية العام 1995، حيث تم تخصيص مباني منفصلة لمكتبة السودان بمساحات واسعة تتسع لتوسع المكتبة الدائم وتغطي احتياجاتها المستقبلية، وبدأت جهود في حوسبة المكتبة، وتحويل فهارسها لقواعد بيانات إليكترونية تعين الباحثين والعاملين على التعرف على المجموعات بدقة وتسهل مهمة استرجاع المعلومات وتوفر الكثير من الجهد.

ومكتبة السودان بما تذخر به من مجموعات نادرة فإنها تعتبر بمثابة خزانة الإنتاج الفكري السوداني، وتشكل العمود الفقري لذاكرة الوطن، مما يحتم ضرورة الاهتمام بها ودعمها ووضع الخطط التي تكفل لها الموارد المالية اللازمة لتطويرها

ومساعدتها للارتقاء بخدماتها ومجموعاتها حتى تحافظ على الثقة التي اكتسبتها عبر العقود، وتزيد من خدمة قطاع التعليم العالي والبحث العلمي في السودان. وهو أمر غاية في الأهمية، ويحتاج لاستقطاب الدعم من المؤسسات الدولية المعنية بالشأن الثقافي مثل منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم والمنظمات الشبيهة على المستوى الإقليمي.

## عباس الزين الطيب، شخص فريد:

قليل من البشر من تظل ذكراه عالقة في أذهان الناس وأن ترتبط ذكراه بتلك المؤسسة بعد تركه للعمل فيها، فطبيعة المؤسسات أن تستمر وتمضي دون توقف ولا التفات للوراء، حيث تنزع المؤسسات دوماً نحو بناء وتطوير العمليات والخدمات على أساس من المهنية والمؤسسية، بحيث لا تتوقف المؤسسة عن دورها بغياب شخص، وهذا هو المنهج الإداري السليم والمتبع، الذي يضمن عدم توقف أي مؤسسة عن تقديم خدماتها للجمهور، لكن وبرغم كل هذه الاحترازات تجد هنالك انواعاً من البشر استطاعوا أن ينحتوا أسماءهم في ذاكرة المؤسسة بجليل الخدمات التي قدموها، وتفانيهم واخلاصهم ومحبتهم للعمل الذي يقومون به. فقيدنا العزيز/ عباس الزين الطيب من أولئك القلائل الذين خدموا بإخلاص وتفاني ومحبة مكتبة السودان بجامعة الخرطوم ورواد مكتبة السودان من أساتذة الجامعات والباحثين وطلاب الدراسات العليا من مختلف بقاع السودان ومؤسساته وجامعاته، بل وامتدت علاقاته مع عدد كبير من الباحثين غير السودانيين. كل أولئك الذين جمعهم حبهم للعلم وحرصهم على التحصيل والبحث الأكاديمي قصدوا مكتبة السودان، قبلة الباحثين، فالتقوا بسادن المكتبة الفقيد عباس الزين الطيب الذي امتاز بمعرفة فائقة ودقيقة بمجموعات مكتبة السودان اكتسبها من محبته لعمله واخلاصه في خدمة الباحثين والعلماء من رواد المكتبة، ليس هذا فحسب ما حبب الجميع في الفقيد عباس الزين الطيب، فقد عرف بين الجميع بالعديد من الصفات الحميدة والفريدة، فقد اشتهر ببشاشته وصفاء نيته وابتسامته التي لا تخبو ولا تختفي، فما أن تجتمع به وتتعرف عليه إلا ويأسرك بنبله ودماثة أخلاقه مقرونة بحبه لعمله وحرصه على تقديم كل ما هو ممكن من مساعدة لرواد المكتبة ومستخدميها.

ولـد عبـاس الزيـن الطيـب في (حلـة عبـاس) بالجزيـرة الخـضراء في العـام 1944 ودرس المرحلـة الأوليـة بقريـة مقـدر في الجزيـرة، ثـم درس المرحلـة الوسـطي في الأعـوام مـن 1956 وحتـى عـام 1960 بمـدارس الأحفـاد في امدرمـان. والتحـق الفقيـد بمكتبـة جامعـة الخرطـوم في العـام 1968 واسـتمر متفانيـاً ومخلصـاً في خدمـة العلـم والعلـماء لأكـثر مـن نصـف قـرن، وبالرغـم مـن أن الفقيـد قـد أحيـل للمعـاش في العـام 2005، إلا أنـه ظـل يعمـل في المكتبـة متطوعـاً حتـى توفـاه اللـه لرحمتـه في الثـاني مـن مايـو 2020، وتـم دفنـه في مقابـر الشـيخ حمـد النيـل بـأم درمـان[3].

ضرب عبـاس الزيـن خـلال هـذه الفـترة الطويلـة مثـالاً للموظـف المثـالي، فهـو لم يكـن فقـط شـديد الالتـزام بسـاعات العمـل الرسـمية، فقـد كان دائمـاً مـن أول الواصلـين للمكتبـة، وآخـر المغادريـن لهـا، لكنـه وفي كثـير مـن الأحيـان كان يواصـل عملـه إلى مـا بعـد سـاعات العمـل الرسـمية لمسـاعدة الباحثـين وطـلاب العلـم، ولـو عـلى حسـاب وقتـه الخـاص.

كان عبـاس الزيـن اجتماعيـاً مـن الطـراز الأول، محبـاً للـكل متواصـلاً معهـم وكان بحكـم عملـه يمتـاز بشـبكة واسـعة جـداً مـن المعـارف مـن الطـلاب وأسـاتذة الجامعـات والباحثـين ومـن الدوائـر الحكوميـة. وكانـت لـه مقـدرة ملفتـة للاحتفـاظ بالأسـماء وتذكرهـا، فـكان دائمـاً مـا يسـابق المقبـل عليـه مرحبـاً بـه وذاكـراً اسـمه، ولعـل هـذا مـما يـترك أثـراً جميـلاً لـدى رواد المكتبـة. وفي المقابـل كان عبـاس الزيـن يتربـع في قلـوب زملائـه وأصدقائـه، يحبونـه ويحترمونـه ويشـهدون لـه بالوفـاء. وكان هـو كالعهـد بـه وفيـاً لهـم يبادلهـم حبـاً بحـب، واحترامـاً باحـترام، ويحـرص عـلى تفقدهـم ومواصلتهـم، فـلا يغيـب أحدهـم إلا وتجـده مبـادراً بالسـؤال عنـه والاطمئنـان عليـه وعـلى صحتـه. مـن أهـم الصفـات التـي تميـز الفقيـد عبـاس الزيـن الهـدوء الـذي هـو صفـة تلازمـه دومـاً، فمـن النـادر أن تسـمعه يتحـدث بصـوت مرتفـع، فحديثـه دائمـاً لمـن معـه أقـرب للهمـس منـه للجهـر. والهـدوء صفـة تشـابه الفقيـد عبـاس الـذي هـو هـادئ النفـس دائمـاً. كـما أعتقـد أن طبيعـة عملـه في المكتبـة ولفـترة طويلـة مـن الزمـن قـد أكسـبته حساسـية مرهفـة تجـاه الهـدوء وعـدم ازعـاج القـراء في المكتبـة، حيـث تتـلازم دومـاً صفـة الهـدوء مـع قاعـات المكتبـات التـي تسـعى لتهيئـة الجـو المناسـب للقـراءة والـدرس.

---

(3) عمر الزين الطيب، حوار عبر الواتساب حول حياة الفقيد عباس الزين خلال شهر ديسمبر 2021.

أمضى عباس الزين خمسة عقود في جامعة الخرطوم من خلال عمله في مكتبة الجامعة وتحديداً في مكتبة السودان التي أمضى فيها جل سني خدمته بالمكتبة. كان يتسم بالمهنية العالية حيث كان متوازناً بين رغبته في تقديم العون والمساعدة لرواد المكتبة وبين حرصه الشديد على سلامة مقتنيات المكتبة ومجموعاتها، كان بشوشاً ويقدم كل ما هو ممكن لخدمة الرواد، لكن مع الالتزام التام باللوائح والقوانين التي تحفظ مجموعات المكتبة ومقتنياتها من الضياع.

من أهم إسهامات الفقيد عباس الزين الطيب في المكتبة قيادته لفرق العمل التي اشتركت في نقل مجموعات المكتبة من مبناها القديم في مبنى مكتبة الجامعة داخل الحرم الجامعي للمبنى الحالي في شارع الجمهورية. كان عباس الزين من أكثر المتحمسين لنقل المكتبة وذلك لسعة ورحابة المبنى الجديد، وكثيراً ما كان يتساءل عن سبب التأخير وبطء الإجراءات، وكان يستعجل الانتقال للمباني الجديدة، كما كان من أكثر الناشطين في نقل المجموعات، وقد أسهم هو والأستاذ عبد المجيد الصديق وعيسى حسب الله وبقية الشباب من العاملين في المكتبة في نقل الكتب بكل حرص ودقة ومهنية. كان الخوف أن تفقد المكتبة بعضاً من مجموعاتها النادرة، أو يتم وضعها في المكان الخطأ، ولكن الحرص والمتابعة والدقة كانت كفيلة بإكمال المهمة على أفضل وجه. وقد قامت الفكرة على ترحيل مجموعات في شكل دفعات محددة ومتتالية من الكتب يتم تغليفها وربطها ثم ترقيمها بالتسلسل، وكان على العمال ترحيل الكتب وتنظيمها وفقاً لنظام الترقيم المتسلسل من المكان القديم للمكان الجديد، ونتج عن ذلك نظام فعال في النقل دون إرباك، وكان للفقيد عباس وزملاؤه الفضل في إنجاز عملية الانتقال بسهولة ويسر وسلاسة.

## سر تذكر الناس وتعلقهم بعباس الزين:

أعتقد وبشكل جازم أن شخصية عباس الزين المتصالحة مع النفس المحبة للخير الساعية دوماً لمساعدة الغير والسؤال عنهم ومواصلتهم تشكل حجر الزاوية في نجاح الفقيد عباس الزين أن يكسب محبة واحترام الجميع. كنت خلال فترة عملنا معاً ألحظ أن عباس يمارس عمله اليومي في مكتبة السودان بمحبة وشغف باديين للعيان، فلم تكن المهام التي يؤديها مرتبطة بالأجر والوظيفة، إنما هي مهام يحبها ويملأه

شـغفه بهـا، لذلـك فهـو يسـتمتع بمـا يقـوم بـه، بغـض النظـر عـن العائـد. كان زاده في مواجهـة الحيـاة وقسـاوتها؛ محبـة النـاس وكلمة:"شـكراً عـم عبـاس"، يسـمعها مـن طالـب أو باحـث فتطربـه كـما أطربـه ابـن عمـه الصـداح (بـادي محمـد الطيـب)، وتمتعـه تلـك الكلـمات البسـيطة كـما أمتعتـه كلـمات الحقيبـة الراقيـة التـي كان يمارسـها هوايـة للترويـح عـن نفسـه والمجتمـع مـن حولـه.

إذا وصـف علـماء التنميـة البشريـة والتطويـر الـذاتي السـعادة بأنهـا (Do what you love, and love what you do)، ويقصـدون بهـا (أن سـعادة المـرء أن ينخـرط المـرء فيـما يحبـه مـن الأعـمال، كـما أن عـلى المـرء أن يحـب مـا يعمـل) فـإن ذلـك بالنسـبة لي، كان هـو سر سـعادة الأخ عبـاس الزيـن ونجاحـه في عملـه وصفـاء سريرتـه وطلاقـة وجهـه وبشاشـته ودوام ابتسـامته في وجـه الجميـع. فقـد أحـب عملـه بعمـق وتعلـق بـه، وكان ذلـك الحـب دافعـاً لـه ليواصـل العمـل حتـى بعـد وصولـه للمعـاش الإجبـاري. كان محركـه هـو شـغفه بمسـاعدة النـاس وخدمتهـم وإعانتهـم فيـما يقومـون بـه مـن دراسـة وبحـث علمـي. وهـي حالـة تـكاد تتشـابه مـع حالـة الصـوفي الولهـان في حـال تعبـد وتقـرب ممـن يحـب. هـي حالـة تنتشـله مـن كل الدنيـا، لدنيـا أخـرى لا يشـعر بهـا إلا مـن عـاش تلـك الحالـة مـن الهيـام واللـذة والشـغف. ولـذا فقـد حـق لنـا أن نسـمي الفقيـد عبـاس الزيـن الطيـب (سـادن مكتبـة السـودان) بـلا منـازع، فقـد أمـضى حياتـه وسـني عمـره بـين أرففهـا وجنباتهـا في خدمـة روادهـا مـن العلـماء والباحثـين.

كان عبـاس ملـماً بتفاصيـل وخبايـا وأسرار مكتبـة السـودان، وجـاء ذلـك نتيجـة لعملـه لفـترة طويلـة بـين هـذه المجموعـات واهتمامـه بهـا وحرصـه عليهـا، وقضـاءه وقتـاً طويـلاً بـين الأرفـف معتنيـاً بالمجموعـات وتفقدهـا وترتيبهـا. وكذلـك اهتـمام عبـاس بتنميـة المجموعـات وتطويرهـا مـن خـلال متابعتـه الدائمـة للإيـداع القانـوني في المكتبـة، ومتابعـة دور النـشر المختلفـة، وتوليـه لعمليـات الـشراء للكتـب الصـادرة حديثـاً. أكسـبه كل ذلـك معرفـة بالمجموعـات والكتـب والمنشـورات الحكوميـة والتقاريـر الحكوميـة، لذلـك فقـد كان خـير معـين- بالإضافـة لزملائـه الآخريـن، في تلبيـة احتياجاتهـم وعـادة مـا يـأتي للباحـث بعـدد مـن العناويـن أكـثر مـما يتوقـع الباحـث.

بالرغـم مـن أن مكتبـة السـودان تعتمـد عـلى نظـام الأرفـف المغلقـة والتـي لا تسـمح لمسـتخدم المكتبـة بالدخـول للمكتبـة والتجـول بـين الأرفـف بـل يعتمـد القـارئ بشـكل حـصري عـلى مسـاعدة العاملـين في المكتبـة للحصـول عـلى مـا يريـد بعـد تحديـد مـا يطلبـه

مـن خـلال اسـتخدام فهـارس المكتبـة. وبالرغـم مـن أن هـذا النظـام يلقـي بالعـبء عـلى العاملـين، لكـثرة طلبـات القـراء وتنوعهـا، إلا أن طبيعـة مجموعـات المكتبـة وندرتهـا تحتـم عـدم فتـح الأرفـف لضـمان عـدم ضيـاع الكتـب وكذلـك لضـمان إعـادة كل كتـاب لمكانـه الصحيـح، حيـث يتـم الترفيـف بواسـطة العاملـين في المكتبـة بشـكل يومـي حتـى يتـم التأكـد مـن عـودة كل كتـاب لموقعـه. بالرغـم مـن كـثرة الطلبـات التـي يلبيهـا العاملـون في المكتبـة، وعـلى رأسـهم الأخ الفقيـد عبـاس الزيـن، إلا انهـم أثبتـوا وعـبر السـنوات الطويلـة كفـاءة عاليـة ومقـدرة واضحـة في التعامـل مـع احتياجـات القـراء والباحثـين. كان لنظـام الأرفـف المغلقـة دور في تعريـف العاملـين بالمكتبـة عـلى مواقـع المجموعـات وأنواعهـا.

كان الفقيـد عبـاس الزيـن وهـو أحـد أقـدم العاملـين ورفيقـه الأسـتاذ عيـسى حسـب اللـه وبقيـة الطاقـم العامـل بالمكتبـة. كان الفقيـد عبـاس الزيـن بمـا يميـزه مـن معرفـة دقيقـة بمجموعـات المكتبـة بمثابـة (الفهـرس الآلي للمكتبـة) في ظـل غيـاب الفهـارس الآليـة آنـذاك، ويمكـن أن نسـميه بلغـة اليـوم (جوجـل مكتبـة السـودان) بسـبب مقدرتـه عـلى التعامـل مـع أسـئلة واستفسـارات الباحثـين الخاصـة بتوفـر مصـادر المعلومـات ذات العلاقـة بموضوعاتهـم البحثيـة.

مـا كان يقـوم بـه عبـاس الزيـن بلغـة اليـوم هـو عمـل هـو عمـل (أخصـائي المراجـع) أو مـا يعـرف باللغـة الإنجليزيـة (Reference Librarian)، حيـث كان هـو المرجـع الرئيـس لكثـير مـن الباحثـين والأسـاتذة وطـلاب الدراسـات العليـا.

كان عبـاس الزيـن اسـتباقياً في تلبيـة احتياجـات رواد المكتبـة مـن الطـلاب والأسـاتذة، حيـث كانـت تردنـا بعـض القوائـم مـن بعـض دور النـشر او ترشـيحات بكتـب ليتـم شراءهـا للمكتبـة، كل مـا وقـع نظـر الأسـتاذ عبـاس في كتـاب، يذكـر باحثـاً مهتـماً بالموضـوع ويرجونـا أن نـسرع في إجـراءات شراء الكتـاب ليلبـي احتياجـات الطالـب مـن المعرفـة. وهـو بذلـك يطبـق بعضـاً مـن قوانـين رانغناسـن في المكتبـات والتـي منهـا أن لـكل كتـاب قـارئ ولـكل قـارئ كتـاب.

كانـت معرفـة عبـاس الزيـن الجيـدة بالمجموعـات ومحبتـه لعـون الطـلاب والباحثـين تجعلـه حريصـاً عـلى إبـراز مكنونـات المكتبـة وثمـين صيدهـا مـن مصـادر المعلومـات والمعـارف، تحدثـه عـن بحثـك واحتياجاتـك، فتجـده ملـماً بمـا لم تعرفـه أنـت المتخصـص فيأتيـك بالكتـب والرسـائل والمقـالات وغيرهـا مـن المفيـد والمعـين عـلى اسـتكمال البحـث عـلى أحسـن وجـه. يقـوم بذلـك برحابـة صـدر ومحبـة نـادرة، كان ذلـك شـأنه مـع مـن

يعرف أو من يأتيه لأول مرة، فهو سادن العلم والمعرفة. مما يجعل الباحث والطالب متعجباً سعيداً يردد بيت الشعر (مع تبديل بسيط) ويأتيك (بالأسفار) ما لم تزود.

وفي المقابل ظل رواد المكتبة من طلاب وباحثين وأساتذة من داخل وخارج السودان يشعرون بالامتنان والشكر للعون الكبير الذي يقدمه لهم الفقيد عباس الزين خلال دراستهم، لذا فإننا نجد عدد كبيراً من الباحثين وطلاب الدراسات العليا وبعض المؤلفين السودانيين والعرب والأجانب قد أفردوا حيزاً من (الشكر والعرفان) ضمن كتبهم ورسالتهم للتعبير عن شكرهم وامتنانهم للفقيد عباس الزين وذكره بالاسم، ضمن من يتوجب شكرهم وذكرهم، وما ذلك إلا لتفاني الفقيد في خدمتهم وعونهم. وعند رحيله افتقده كل المجتمع العلمي في جامعة الخرطوم والجامعات السودانية الأخرى، وتبادل العلماء الخبر الحزين بانتقاله للدار الآخرة، وصلوا عليه وأكثروا له الدعاء من قريب وبعيد. ونعاه عدد كبير من محبيه وعارفي فضله، فقد نعاه البروفيسور أحمد إبراهيم أبوشوك، والدكتور عبد اللطيف البوني، وغيرهما من الكتاب والصحفيين الذين عرفوه.

## خاتمة:

مثل الأخ الفقيد عباس الزين الطيب نموذجاً فريداً للموظف المحب لعمله المتفاني فيه والذي يجوِّد الأداء محبة في وظيفته وعوناً لرواد المكتبة من الطلاب والأساتذة الباحثين، ونحن إذ نكتب هذه الأسطر القليلة في حقه فإننا نقرُّ بقصر قامات كلماتنا أن تفي الرجل حقه، وأن تصل لمقامه، ولكني حين قبلت التكليف بالكتابة عن مسيرة الأخ عباس لم أقبل لأنني الأجدر بذلك ولا لأني الأقدر على ذلك، بل قبلته محبة مني لأخ وصديق عزيز عرفته عن قرب وعملنا معاً في زمن جميل، وتعلمت منه معاني حب الآخرين وعونهم ومساعدتهم، فكان القرار أن أكتب ما يجئ في خاطري لأنها فرصة لن تتكرر للتعبير عن محبتنا للفقيد عباس الزين الطيب، واعترافاً له بالجميل وتقديراً لما ظل يقوم به لأكثر من خمسين عاماً في خدمة العلم والعلماء والباحثين، بحب وشغف وتفاني. ونختم هذا الحديث بشكر القائمين على هذه المبادرة الكريمة لرفع ذكر رجل كريم، ونسأل الله ان يجزي الأخ عباس الزين خير الجزاء وأن يرفعه مكاناً علياً بين الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً، وأن يجعل كل ما قدمه لطلاب العلم والباحثين صدقة جارية ينتفع بأجرها ليوم الدين.

# الفصل الرابع

# انطباعات حول شخصية
# الأستاذ عباس الزين الطيب

# انطباعات حول شخصية الأستاذ عباس الزين الطيب

د. رشا أحمد محمد علي عشاري

قسم الجغرافيا- كليةالآداب
جامعة أم درمان الإسلامية

## المقدمة:

ولد الأستاذ عباس الزين الطيب بقرية حلة عباس ريفي المعليق بولاية الجزيرة، عام 1944م. ثم انتقل إلى العاصمة الخرطوم، والتحق بمدرسة الأحفاد المتوسطة في الفترة من 1960-1955م. تم تعيينه في مكتبة جامعة الخرطوم عام 1968م وظل بها إلى أن تم تحويلها إلى المبنى الحالي المعروف بمكتبة السودان التابع لجامعة الخرطوم عام 1995م، وظل بها حتى وفاته في الثاني من مايو 2020م.

ذهبتُ إلى مكتبة السودان، وأول من التقيت به هو الأخ جعفر ميرغني (صورة 1)، والذي عمل مع الأستاذ عباس الذين منذ عام 1995م، وقد تحدث معي والدموع في عينيه، وذكر أن الأستاذ عباس أشتهر بطول البال، وكان يقوم بخدمة كل الطلاب والأساتذة الذين يأتون إليه بكل سعادة حتى الذين لم يجدوا المعلومة في المكتبة كانوا يخرجون منها وهم راضين كل الرضا، وأحياناً يدلهم على مكان ما يريدون معرفته في المكتبات الأخرى.

كما ذكر أن الأستاذ عباس كان يتعامل مع الطلبة الأجانب بكل أريحية، وأنه كان بمثابة الأب الروحي والأخ لكل من يعمل معه، وأنه كان فهرساً للمكتبة، فهو عارف وملمٌ بكل صغيرة وكبيرة في أضابير المكتبة.

عند حضور أيّ طالب يحتاج إلى تصوير أحد الكتب فانه يأخذ الكتاب بنفسه وكان لديه كيساً يسميه زملاءه (مُخْلَاية) يجمع فيها الكتب المراد تصويرها يأخذها معه نهاية اليوم إلى إحدى مكتبات تصوير الأوراق في السوق العربي، ثم يقوم في صباح اليوم التالي بالذهاب إلى مكتبة التصوير في طريق عودته ويحضرها معه. وكان من شدة حبه للمكتبة وإخلاصه لها يذهب إلى الجامع الكبير بالخرطوم أو البوستة بأم درمان ويشتري كل كتاب تحتاج إليه المكتبة ليستفيد منه طلبة العلم.

كـما ذكـر الأخ جعفـر ميرغنـي عنـد لقـائي بـه في الأول مـن مـارس 2022م أن (عـم عبـاس) كـما يسـميه زمـلاءه: (بنـك الموظفـين) فـلا يحتـاج موظـف في المكتبـة إلى مبلـغ مـن المـال إلا وأعطـاه إيـاه، وبعـد وفاتـه حـضر كميـة مـن الزمـلاء الذيـن اسـتلفوا مبالـغ منـه واحضروهـا إلى الإخـوة بالمكتبـة الذيـن قامـوا بدورهـم وإرجاعهـا إلى أسرتـه. وأوضـح أنـه حتـى بعـد نزولـه للمعـاش إلا أنـه لم ينقطـع عـن المكتبـة حتـى وفاتـه [1].



**صورة (1) جعفر ميرغني زميل المرحوم عباس الزين بمكتبة السودان.**

التقيـت في نفـس اليـوم بالأخـت أمـيرة عبـد العزيـز حمدتـو الموظفـة بمكتبـة السـودان، والتـي ذكـرت أن الأسـتاذ عبـاس الـذي كان الصديـق والأب، وكان يـأتي بعـد نزولـه للمعـاش إلى المكتبـة يومـين في الأسـبوع لمسـاعدة زمـلاءه ويعينهـم عـلى إنجـاز بعـض الأعـمال، كـما ذكـرت أنـه قـام بجمـع الكتـب الصغـيرة والمقـالات غـير المفهرسـة مـع أحـد الزمـلاء وقامـوا بفهرسـتها ووضعهـا في ملـف كبـير حتـى يسـهل عـلى كل مـن يريدهـا الحصـول عليهـا، وذكـرت أنـه لم يتأخـر عـن طلـب خدمـة أو نصيحـة طلبـت منـه [2].

ذكر الأستاذ سامي محمد حسين رئيس قسم التجليد (صورة 2) والذي رافق الأستاذ عباس الزين رحمه الله عليه الأكثر من 35 عاماً؛ أنه كان رجلاً بشوشاً يساعد كل طالب وأستاذ يأتي إليه من جامعة الخرطوم أو من أي جامعة أخرى، وأنه كان يعرف كل كتاب عن السودان، وكان يأتي إليه كل محتاج أو من يعاني ضائقة مالية. وواصل السرد وقال إنه في إحدى المرات كان يحتاج إلى مبلغ ما نسبة لظروف المدراس ولجأ إلى العم عباس الزين، وبالفعل أقرضه المال، ولم يسأله عن ذلك المبلغ البتة. كما ذكر أنه قام بمساعدة أحد الزملاء لاحتياجه لمبلغ ما نسبة لمرض والدته وشاءت الأقدار أن توفيت والدة ذلك الزميل فانقطع لفترة عن المكتبة، وأنه فوجئ بعد فترة بوفاة عم عباس الذي أصبح المبلغ المستلف منه مديونية فقام بإرجاعها إلى أهله [3].



**صورة (2) سامي محمد حسين-رئيس قسم التجليد بمكتبة السودان.**

كما أوضح أنه عند قيام مؤتمر الحدود في العام (1976-1975م)؛ لم يجد الباحثون معلومات عن هذا الموضوع إلا لدى الأستاذ عباس الزين.وأضاف أن هناك مواقف كثيرة شهدها للراحل عم عباس منها أن أحد الأساتذة كان يبحث عن رواية (أغلى من حياتي) التي تمت مصادرتها من المكتبة نسبة لظروف سياسية في عهد الرئيس جعفر محمد نميري رحمه الله لتحويلها إلى فيلم، ولم يجدها في مكتبة السودان، فظل الأستاذ

عباس الزين يبحث عنها حتى وجد صاحبها في مدينة سنجة بولاية سنار وتواصل معه حتى حصل على تلك الرواية.وأن هناك كثير من الكتب قام بتصويرها بنفسه وعلى حسابه الخاص حالياً يتم جمعها لتكون وقفاً لروحه الطيبة (صورة 3).



**صورة (3) مجموعة الصور التي قام بتصويرها الأستاذ عباس الزين.**

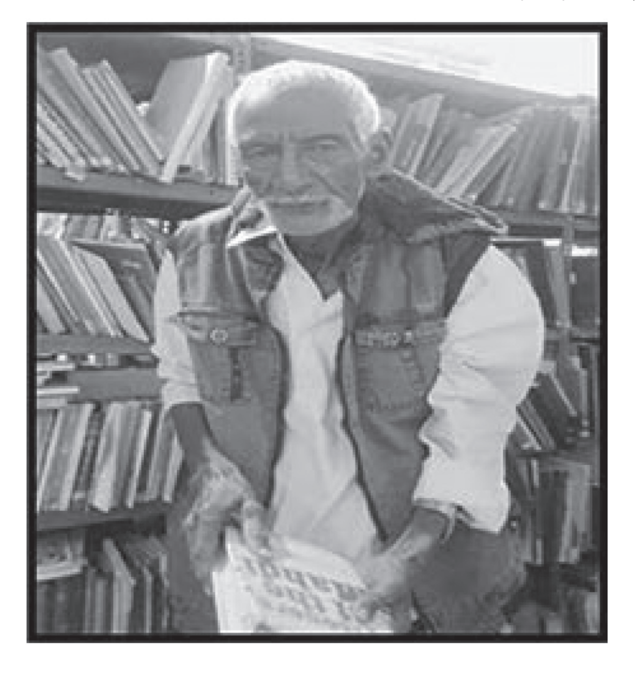
كما ذكر سامي محمد حسين أن الأستاذ عباس الزين تم تكريمه في المؤتمر الخامس للمكتبات الرقمية برعاية الدكتورة تهاني عبد الله وزير الاتصالات والتكنولوجيا والمعلومات في أكتوبر 2015م (صورة 4).وختم بأن الأستاذ عباس الزين كان رجل علاَّمة أفنى عمره من أجل المعلومة وخدمة الطلاب.




**صورة (4) تكريم الأستاذ عباس الزين في المؤتمر الخامس للمكتبات الرقمية، 2015.**

كـما التقيـتُ في ذلـك اليـوم بالأسـتاذ كـمال حسـن المسـؤول عـن قسـم التزويـد الـذي أوضـح أن الأسـتاذ عبـاس الزيـن شـخص متفـرد لا علاقـة لـه بالبـشر الموجوديـن حاليـاً، وأنـه موسـوعة متحركـة وأن أسـعد لحظاتـه عندمـا يقـوم بخدمـة الطـلاب، ويجـد مـا يحتاجـون إليـه لذلـك كانـت علاقتـه مميـزة مـع الجميـع (صـورة 5).

وشـاء القـدر صدفـة ومـن حسـن الحـظ أن قابلـت الأسـتاذة مهـا إبراهيـم هـارون- المحـاضر بجامعـة بخـت الرضـا، كليـة العلـوم، قسـم الكيميـاء، والتـي جـاءت لإلقـاء التحيـة والسـلام عـلى الأسـتاذ عبـاس فأخبروهـا بوفاتـه، فتحدثـت وهـي تبـكي عـن تجربتهـا معـه وأنهـا عنـد بدايـة دراسـتها للماجسـتير في جامعـة السـودان للعلـوم والتكنولوجيـا احتاجـت إلى بعـض المعلومـات فحـضرت إلى مكتبـة السـودان، وأول مـن التقـت بـه هـو الأسـتاذ عبـاس الزيـن رحمـه اللـه، والـذي قـدم لهـا الكثـير مـن الإفـادات، كـما أشـار لهـا إلى الأماكـن التـي يمكـن أن تجـد فيهـا معلومـات أكـثر عـن بحثهـا، وأنهـا لا تسـتطيع أن تصـف شـعورها نحـو ذلـك الشـخص الموجـود في دواخلهـا، وأوضحـت أن سـيرته الفاضلـة سـتظل باقيـة، وقالـت إنـه ذخـيرة علميـة وموسـوعة رحلـت عنـا [4].



**صورة (5) صالة المكتبة التي كان يتواجد بها عباس الزين.**
**تم تحويل هذه الصالة حالياً إلى صالة للقراءة والاطلاع.**



**صورة (6) صالة القراءة والاطلاع الحالية.**

في الثالث من مارس 2022م أتصلت على الدكتور قسم السيد حمزة- جامعة الزعيم الأزهري، المختص في علم التاريخ، والذي أوضح أنه التقى بالأستاذ عباس الزين في الثمانيات من القرن الماضي أثناء تحضيره لدرجة الماجستير في كلية الآداب- جامعة الخرطوم، وأن كثرة تردده على المكتبة أثناء إعداد الرسالة رفع الكلفة والحواجز بينهما، وأصبحت هنالك علاقة حميمة بينهم، وذكر عن المرحوم عباس الزين أنه مثال الطيبة والإنسانية وأنه كان حريص على راحة الباحثين ويلبي كل احتياجاتهم، وذكر أن له حس فني وذوق عالي، وأوضح أنه من أفضل من تعامل معه فهو الذوق والأدب والرقة في التعامل والروح النقية. واسترسل الدكتور قسم السيد حمزة في الحديث وقال أنه يتذكر عند إعداده لرسالة الدكتوراه في التاريخ المعاصر أن الأستاذ عباس الزين رحمه الله كان يعرف أسماء المراجع والمؤلفين وأنه يعرف المراجع والنفيس منها، وأنه يقوم بالسؤال عن موضوعك ثم يقوم بتوجيهك إلى المراجع التي تحتاجها وحتى المراجع والكتب التي كتبت باللغة الإنجليزية والتي لها علاقة بتاريخ السودان، كان يعرفها

حتى كتب الرحالة الذين زاروا السودان في القرن الثامن عشر، كان على علم بها، وذكر أنه أكثر إبداعاً في مجال التاريخ نسبة لاهتماماته الأكاديمية في هذا المجال مثل كتب (جيمس بروس، هايبر) وأنه مثال للتعامل الراقي مع الباحثين الأجانب. وأنه ذات مرة حضر إلى المكتبة فوجد باحثة إيطالية تكتب عن ثورة 1924م السودانية، فسعد من حديث الراحل معها باللغة الإنجليزية بكل أريحية وأوضح أنه توجد بعض الكتب الإنجليزية التي أشارت في مقدمتها عن تعامل الراحل المقيم الأستاذ عباس الزين، ومنها على سبيل المثال لا الحصر؛ الكتاب الذي أعده الباحث فيرغيس نيكول بعنوان: سيف النبي؛ مهدي السودان. وقد قام بترجمته الدكتور عبد الواحد عبد الله يوسف، وقام مركز عبد الكريم ميرغني بنشره. وختم حديثه معي بكلمات عن الراحل، وقال إنه صاحب اليد العليا من الناحية الإنسانية والاجتماعية، فهو شخص يحب المرح والدعابة ويحب المقارنات والمقاربات نتيجة لتنقله لمدن السودان المختلفة، وأنه مميز على مستوى الأسرة والبعد الإنساني، والمشاركة في الأفراح والأتراح، فهو شخص صاحب مهنيه عالية، وأنه أبٌ للجميع ورجل قومي مميز ونبراس وعلامة يهتدي به الجميع، وأنه بكى عليه عندما سمع بخبر وفاته حتى أنه ذكر أن رقم تلفونه لا يزال معه لم يستطيع حذفه من جواله، نسأل الله أن يتقبله قبولاً حسنا [5].

ذكرت أخته الأستاذة ماريا الزين الطيب المدير الأسبق لبنك الخرطوم، فرع البرلمان أن المرحوم الأستاذ عباس الزين كان عطوفاً، بشوشاً، حليماً، كريماً، وصبوراً، وهو عونٌ لجميع أفراد الأسرة، لم نراه غاضباً ولم يُغضب أحد أبداً في الأسرة، يحب الخير للجميع، نال رضا والديه وحبّ إخوانه وأخواته. وأضافت قائلة: (رافقته شقيقتي لأداء العمرة في العام 2019م، وعند زيارتهم لجبل عرفات؛ صعد الجبل وكانت إحدى دعواته: "يا ربي لا نمرض يشيلونا ولا نتعب يقلبونا، يا ربي من القوة لي الهوة) [6]. وقد كان صائماً حتى الخميس الخامس من رمضان عندما أصيب بحمى خفيفة توفى أثرها عصر السبت في الثاني من مايو 2020م، ولم يشعر أحد بخروج روحه الطاهرة، كأنما استجاب الله تعالى لدعوته، رحمه الله رحمة واسعة، والهم أهله وزملاءه وطلابه الصبر على فراقه. ونسأل الله أن يحتذي كل الطلاب والباحثين وروَّاد المكتبة بهذه القدوة والمثل الأعلى الذي أتفق الجميع على صفاته وقل ما يتفق البشر على شيء. وقد قام الدكتور حاتم كمال الدين الطيب العميد الأسبق لكلية الآداب جامعة أم درمان الإسلامية بإنشاء مكتبة الكترونية لروح الفقيد، وتضم مختلف التخصصات

أسـماها (مكتبـة الأسـتاذ عبـاس الزيـن)، وذلـك في سـبتمبر 2021م، تضـم أكـثر مـن 100 باحـث وطالـب علـم، والهـدف منهـا أن تكـون نـواة لمكتبـة عصريـة تسـتقبل فقـط الكتـب والمجـلات التـي يقـوم الباحثـين بطلبهـا، وهـذا يـدل عـلى أنـه لا يـزال ينـير طريـق العلـم للباحثـين. وقـد كتـب عنـه البروفيسـور عبـد اللـه محمـد أحمـد عندمـا سـمع بخـبر وفاته (في ذمـة اللـه عبـاس الزيـن: أيـا شـجر الخابـور مالـك مورقـا.. كأنـك لم تحـزن عـلى ابـن طريف)، وأضـاف: "يعـز عـليّ أن أدخـل مكتبـة السـودان فأجـد موضعـه منهـا خاليـا، فمكانـه منهـا مـكان القطـب مـن الرحـا". وقـد وصفـه البروفيسـور إبراهيـم الزيـن صغـيرون بأنـه مثـال نـادر للوفـاء في أدائـه لعملـه وفي عشـقه للكتـاب فـما ذكـر عبـاس رحمـه اللـه إلا وذُكـر الكتـاب [7].

**(Endnotes)**

1. مقابلة شخصية مع الأستاذ جعفر ميرغني، موظف بمكتبة السودان، جامعة الخرطوم 2022م.
2. مقابلة شخصية مع الأستاذة أميرة عبد العزيز حمدتو، موظفة بمكتبة السودان، جامعة الخرطوم 2022م.
3. مقابلة شخصية مع الأستاذ سامي محمد حسين، رئيس قسم التجليد بمكتبة السودان، جامعة الخرطوم 2022م.
4. مقابلة شخصية مع الأستاذة مها هارون رضا، المحاضر بجامعة بخت الرضا، 2022م.
5. مقابلة شخصية مع الدكتور قسم السيد حمزة، أستاذ التاريخ بجامعة الزعيم الأزهري، 2022م.
6. مقابلة شخصية مع الأستاذ ماريا الزين الطيب، موظفة سابقة ببنك الخرطوم، 2022م.
7. كلمات مقتبسة من رثاء البروفيسور عبد الله محمد أحمد، أستاذ اللغة العربية بجامعة للخرطوم للفقيد.

# الفصل الخامس

# كلمات كُتبت في رثاء الفقيد

# كلمات كُتبت في رثاء الفقيد

## كلمة السيدة مدير جامعة الخرطوم،
## البروفيسور/ فدوى عبد الرحمن علي طه

تنعي مديرة جامعة الخرطوم ببالغ الحزن والأسى؛ الأستاذ عباس الزين، الموظف بمكتبة السودان، الذي انتقل إلى جوار ربه عصر اليوم السبت الموافق للثاني من مايو 2020م. عمل عباس بالمكتبة طويلة وحفظ مواقع كتبها وحافظ عليها. تفانى عباس في خدمة روَّادها وخرَّج أجيالاً من الطلاب والباحثين. وكانت المكتبة أسرته الكبيرةوالصغيرة. ولم يقو على فراقها، فعندما أُحيل للتقاعد فضَّل العمل دون أجر مواصلة لعطائه. عباس شخص نادر وعفيف قلَّ أن يجود الزمان بمثله. نسأل الله أن يتغمَّده برحمته ويصبِّرنا على فراقه.

وأضافت قائلة في حسابها على تويتر: "عباس الزين الطيب حارس الكُتب والمعرفة الأمين.. كنتَ إنساناً متفرداً يا عباس. لك الرحمة والمغفرة ولبادي، وربنا إقدِّرنا على دخول مكتبة السودان".

## في ذمّة الله عباس الزين

## بقلم البروفيسور/ عبد الله محمد أحمد:

روحٌ فاضت إلى بارئها في الشهر المبارك وروضةٌ ذبُلت أزهارها ودوحةٌ سكتت أطيارُها فلا غروَ أن تعجّبت الشاعرة من تلكم الشجرةِ المُورقة:

**أيا شجرَ الخابورِ مالكَ مُورقاً كأنّك لم تحزنْ على ابنِ طريفِ**

إنِّي لَيحزُنني أن أدخلَ مكتبة السودان فأرى موضعَ عبّاسٍ منها خالياً، فمكانُه منها مكانُ القُطبِ من الرَّحى. اتصل بي قبل ساعةٍ من الزمان العالم الجليل بروفسير إبراهيم الزين صغيرون فعزّاني وعزّيتُه في هذا الفقدِ الجلل فقد كانت فجيعةُ أهل العلم فيه كفجيعة أهله فيه. وقد وصفه بكلِّ وصفٍ جميل فهو مثالُ نادرٌ للوفاء في أدائه لعمله وفي عِشقه للكتاب فما ذُكرَ عبّاسٌ رحمه الله إلا وذُكِرَ الكتاب فبينهما رحِمٌ واشجة. يهونُ عنده النصَب ويتناسى الأسقام في سبيل خدمة أهل العلم. فطالما سَفَرَ بين الكُتبِ والدارسين، فقد كان اسمُه على لسان كلِّ باحثٍ في تاريخ السودان وتُراثِه وأدبه من داخل السودان وخارجه. يكفي أن تذكر له اسمَ الكتاب حتى تجدَه بين يديك فقد كان يحفظُ موضعَ كل كتاب في المكتبة أو تذكر الموضوع الذي تبحث فيه فيأتيك بكل ما كُتبَ فيه من ثَمَراتِ العقول. فذاكرته أرشيف ضمَّ كلّ ما حوته المكتبة من كتبٍ ومجلاتٍ ورسائل جامعية، من كلّ ما جادت به ألسنة الأقلام من أفواه المحابر. رجلٌ حبّب الله تعالى الخيرَ إليه وحبّبه إلى الخير. كثير الفعال نزرُ المقال جميلُ الخصال عزيزُ المثال.. خدم مكتبة الجامعة لأكثر من خمسة عُقود بروحٍ لا تعرفُ الكَلالَ ولا يعتريها المَلال. نسيتُه الجامعة زماناً طويلاً ثمّ تداركت بعضَ ما فات منها فجاء تكريمُه على يد السيدة الفضلى بروفسير فدوى عبد الرحمن مديرةُ الجامعة في آخر أيامِه رحمه الله تعالى. أنزل الله تعالى على قبره من شآبيب رحمته ما تخضرُّ له تُربةُ الجدَث وتُضيء له ظُلُمات الرَّمس.

# الأستاذ النبيل عباس الزين (ت. 2 مايو 0202م): ترك مقعده شاغراً بمكتبة السودان جامعة الخرطوم


أ.د أحمد إبراهيم أبوشوك

**جامعة قطر - قطر**


ارتبط اسم الأستاذ عباس الزين بمكتبة السودان، جامعة الخرطوم، حيث قضى خمسة عقود من عمره النضير في خدمة المكتبة وزوارها من الأساتذة والباحثين والطلبة، ولذلك وصفه الدكتور خالد محمد فرح ب"عاشق الكتاب، وسادن المعرفة"، ونعته الدكتور إبراهيم الزين صغيرون بأنه "مثال نادر للوفاء في أدائه عمله". هكذا كان عباس يسمو فوق هذه الصفات بتواضعه الجمّ، وأدبه الرفيع، وتفانيه في العمل، بل بنكران ذات عجيب. كانت المكتبة تعني له الزوج، والأسرة، والجليس الصالح؛ لذلك اترحل عنها إلى الدار الآخرة دون أن يقترن بشريك حياة غيرها، بل ترك سجلاً حافلاً شكر الباحثين والطلبة وعرفانهم إليه، لأنه كان يساعدهم بسعة صدر، وطيب خاطر مفعمٍ بالوفاء والإحسان.

ويرجع تاريخ تأسيس المكتبة التي عمل الأستاذ عباس الزين في كنفها وعشقها حتى الثمالة إلى عام 1961م، عندما قررت إدارة جامعة الخرطوم إنشاء مكتبة، تهتم بشؤون السودان، وتجمع كل ما كُتب عنه، فأطلقت عليها اسم مكتبة السودان. وكانت عملية التأسيس على يد الأستاذ القدير في علم المكتبات عبد الرحمن النصري، وأعانه في ذلك نفرٌ من العاملين في مجال علم المكتبات وإدارتها، أمثال الأستاذ قاسم عثمان نور، الذي عمل بمكتبة السودان في الفترة 1965 إلى 1980م، ولا حقاً الأستاذ عباس الزين. وبعد إصدار قانون إيداع المصنفات لعام 1966 وتعديله لعام 1971م، أصبحت مكتبة السودان الحاضنة الأولى للمطبوعات التي تصدر في السودان، بما في ذلك الكتب، والرسائل الجامعية، والصور الفتوغرافية، والخرائط، والتقارير الحكومية، والاتفاقيات السياسية، وأوراق المؤتمرات، والصحف والمجلات، فضلاً عن الكتب التي تصدر خارج السودان. ولذلك وصفها قاسم عثمان نور بذاكرة الوطن، بحكم أنها أكبر وأغنى مكتبة للأدبيات السودانية في داخل القطر وخارجه.

وكان استخدام مكتبة السودان قاصراً على أساتذة الجامعة والباحثين وطلبة

الدراسات العليا، للإفادة من نظام الرفوف المفتوحة للحصول على المادة التي يبتغيها كل باحث، وكانت الرسائل الجامعية توضع في خزائن أو رفوف مغلقة؛ أما طلبة البكالوريوس فكانوا يحصلون على مقتنيات المكتبة عن طريق الإعارة الداخلية في المكتبة الرئيسة.

وظلت مكتبة السودان منذ تاريخ تأسيسها في العام 1961م كائنة في الطابق الأول، والركن الجنوبي الغربي لمباني كلية غردون (مكتبة جامعة الخرطوم الرئيسة لاحقاً). وفي العام 1994م تمَّ ترحيل مقتنياتها إلى أحد مباني جامعة الخرطوم المطلة على شارع الجمهورية (مبنى داخلية بحر الغزال سابقاً).

لعمري لم أجد مثيلاً لمكتبة السودان في القطر كله، ولا شبيهاً للأستاذ عباس الزين إلا صديقه الأستاذ سيد مصطفى (سيد بن ريا) بدار الوثائق القومية، فإنهما كانا يشتركان في صفات كثيرة، منها التفاني في العمل، وحب الوظيفة، وحفظ مقتنيات المؤسسة التي ينتمي كل واحد منهما إليها، فضلاً عن مساعدة الطلبة والباحثين. وفوق هذا وذاك مات كل واحد منهما من غير شريك في الحياة إلا مكتبة السودان من طرف، ودار الوثائق القومية من طرف آخر؛ ألا رحم الله عباساً وسيداً بقدر ما قدما للبحث العلمي والباحثين، وبقدر إخلاصهما وتفانيهما في العمل.

# عباس الزين الطيب (مكتبة ورحلت)

## أ.د عبد اللطيف البوني

**الجامعة الوطنية**

(1)

بإيعاز من أستاذي الجليل الراحل/ محمد سعيد القدَّال قررت أن يكون بحثي للتخرج من الجامعة (حركة مزارعي الجزيرة) ويومها كانت المادة المكتوبة عن مشروع الجزيرة نادرة جداً كأنما هناك جهة تريد أن يبقى هذا المشروع بعيداً عن التناول الأكاديمي والمجتمعي، وهذه قصة أخرى. فكان لا بد من الذهاب لمكتبة السودان، وهي جزء من مكتبة الجامعة العامة، جمع فيه كل ما كُتب عن السودان من رسائل ومدونات وكتب وصحف، ولكنها كانت مخصصة لطلاب الدراسات العليا، ولا يمكن لطلاب البكالريوس الاستفادة منها إلا بإجراءات معقدة تبدأ بإفادة من الكلية ثم يُقدم الطلب لأمين المكتبة، وبعد الموافقة تكتب المرجع الذي تريد لتأتيك في المكتبة العامة. ولما كان بلدياتي وصديقي الراحل محمد الشيخ إدريس (طه الجاك) موظفاً في المكتبة لجأت إليه فقال لي اعتبر الموضوع منتهي لأن المسؤول المسائي عن المكتبة صاحبنا عباس الزين، وهو زول متعاون جداً وشغوف بالمعرفة.

(2)

كان ترحيب عباس بي فوق كل تصور فذهب لمكتبة الشنقيطي، وهي أيضا مخصصة لجلوس طلاب الدراسات العليا، ولكن بها متسع، واستأذن ملازم المكتبة كي أجلس هناك ولم يحوجني لأي كشاف لأنه يعرف كل ما في المكتبة عن الجزيرة، فاقترح علي أن أبدأ بالزراعة في السودان، فأحضر لي سِفر توتهيل الضخم وبعده كتاب آرثر جتسيكل (الجزيرة قصة تنمية)، وكانت توجد منه نسخة واحدة، ثم رسالة دكتور عبد الوهاب عبد العزيز المبارك، فكانت كتب ومراجع ما كنت أحلم بها. وكنت متخيلاً أن هذه معاملة خاصة لي نسبة لوساطة محمد الشيخ إدريس، ولكنني اكتشفت أن كل المجموعة (الملبدة) في مكتبة الشنقيطي أتي بها عباس، فهو لا يريد أن يخرق اللوائح بإدخال طلاب البكالريوس في مكتبة السودان، وفي نفس الوقت يريد أن

يـيـسر عـلى الطـلاب ويختـصر الإجـراءات المطولـة، وهـذا يكلفـه مشـاوير وجهـداً ورهقـاً. وكان كل واحـد منـا يظـن أن عبـاس يخدمـه بصـورة خاصـة، ولكننـا أيقنـا أن هـذا ديدنـه مـع كل باحـث.

(3)

مـن أرض المحنـة، مـن الجزيـرة ومـن القسـم الشـمالي فيهـا، تحديـداً مـن قريـة (حلـة عبـاس) الوادعـة التـي تتوسـط الحواشـات المخـضرة؛ جـاء عبـاس الزيـن الطيـب. وهـي ذات القريـة التـي أعطـت السـودان؛ ملـك الأداء وسـلطان الطـرب و(قائـد أسـطول) الغنـاء الشـعبي وسـادن الحقيبـة صاحـب الصـوت الـذي هـز كل السـودان (مـن اليمـن للشـام) بـادي محمـد الطيـب، وهـو ابـن عـم عبـاس لـزم وعمـلا معـاً في جامعـة الخرطـوم، وتسـاكنا كعزابـة مـع رهـط مـن أهـل قريتهـم بالعباسـية بـأم درمـان. لا بـل في بواكـير شـبابه عمـل معـه عبـاس ككـورس، وأحيانـاً ضابـط إيقـاع. أكاد أجـزم أننـي لم أصـادف في حيـاتي شـخصاً محبـاً لوظيفتـه متفانيـاً فيهـا مثـل عبـاس الزيـن. ولعـل هـذا بشـهادة كل مـن مـرّ بمكتبـة السـودان، ومـن مختلـف المسـتويات، بكالريـوس ماجسـتير دكتـوراه ومؤلفـين ومسـؤولين. فعبـاس كان متجـاوزاً لمهمتـه الرسـمية، إذ كان سرعـان مـا تنمـو بينـه وبـين طالـب الخدمـة مـودة وصداقـة بعبـارة أخـرى أنـه يقـدم الخدمـة بمحبـة. وبالطبـع هـذا يرجـع لفطرتـه السـمحة، ولحبـه للبحـث والباحثـين. ومـن أراد أن يسـتوثق مـن ذلـك فليذهـب إلى مكتبـة السـودان ليجـد في صفحـة الشـكر مـن كل رسـالة اسـم عبـاس الزيـن متحكـراً فيهـا.

(4)

منـذ وقـت بحـث التخـرج توطـدت صلتـي بعبـاس الزيـن وظللـت عـلى تواصـل معـه، بيـد أنـه في السـنوات الأخـيرة كنـت لا أقابلـه إلا خطفـاً، وفي كل مـرة أقابلـه فيهـا كان يطلـب منـي أن أمـد المكتبـة بمـا نشرتـه مـن كتـب (ياخـي سـمعت انـك طلعـت حاطـب ليـل في مجلـدات، مـن فضلـك أدينـا نسـخة لمكتبـة السـودان، ياخـي أنـا مسـتعد أجيـك في أي مـكان عشـان أشـيلها منـك) (تجينـي يـا عبـاس بالموريـس مايـنر بتاعتـك المـن سـنة حفـروا البحـر ديـك؟) يضحـك (ياخـي اللـه يطـراك بالخـير، انـت مـن زمـن الموريـس مايـنر.. لكـن واللـه مـن شـدة مـا صـبرت عليهـا الجماعـة لقبـوني بسـيدنا أيـوب) (يـا عبـاس واللـه انـت سـيدنا أيـوب في كل تفاصيـل حياتـك، ياخـي مـا كفايـة صـبرك عـلى العزوبيـة) يضحـك (نعمـل شـنو عـاد ياهـو قدرنـا) (تعـرف يـا عبـاس انـت ربنـا أداك الكتـير، أداك الظرافـة والأناقـة والوسـامة والأدب والطـول الفـارع والشـعر السـبيبي والصـبر والتفـاني في خدمـة الآخريـن،

لكـن مـا ممكـن يديـك كل شي كـمان) (انـت نسـيت الشـلوخ ولآ شـنو؟) (واللـه حتـى شـلخك مخالـف مـن سـماحته).

(5)

لقـد شـق عـليَ نعـي عبـاس الزيـن الـذي طـارت بـه الأسـافير في الأسـبوع قبـل الماضي، إذ تناقلـه محبـوه وعارفـو فضلـه، ومـا أكثرهـم عـلى امتـداد السـودان وخارجـه، إذ ينـدر أن تجـد باحثـاً أكاديمياً في الدراسـات الإنسـانية لم يمـر عـلى مكتبـة السـودان. فقـد كانـت إلى وقـت قريـب مسـتودع المعرفـة الوحيـد بالسـودان. وكان كل مـن ينعـي عبـاس يعتـبره صديقـاً خاصـاً. بصفـة خاصـة لقـد أحزننـي نبـأ رحيـل عبـاس، لأننـي لم ألتقـه في السـنوات الأخـيرة. كـما أن النبـأ هيـج في نفـسي لواعـج الذكـرى، فتذكـرت صديقـي وصديقـه محمـد الشـيخ إدريـس (طـه الجـاك) الـذي غـادر هـو الآخـر هـذه الفانيـة مثـل عبـاس بـكل هـدوء مثلـما دخلهـا ولم يـترك مـالاً ولا عقـاراً ولا ولـداً، إنمـا محبـة النـاس فقـط.

كان عبـاس موظفـاً في الخدمـة المدنيـة مثلـه مثـل آخريـن كُـثر، ولكنـه كان يمتـاز بـأن طبيعـة وظيفتـه جعلتـه في خدمـة العلـم والعلـماء، وتحديـداً في مجـال المعرفـة بالسـودان بـكل تفاصيلـه. ونشـهد بأنـه قـد أداهـا بمحبـة وتفـانٍ، لذلك نعتـبره شـخصية قوميـة بامتياز. فالـدور والباقـي عـلى جامعـة الخرطـوم أن تبـادل وفـاء عبـاس بمـا يسـتحق، ونرفـع هـذا الأمـر إلى صديقتـه وعارفـة فضلـه وصديقتنـا البروفيسـور فـدوى عبـد الرحمـن عـلي طـه مديـر الجامعـة. اللهـم أرحـم عبـدك عبـاس الزيـن وأسـكنه الفـردوس الأعـلى مـع الأنبيـاء والصديقـين والشـهداء وحسُـن أولئـك رفيقـاً. وصـادق تعازينـا لأهلنـا وأحبابنـا بحلـة عبـاس.

# رحل العم عباس الزين الطيب
# لقد انطفأ قنديلُ كان يضيء حنادس المعرفة


## د. محمد الفانح حياتي

**قسم الآثار – كلية الآداب - جامعة الخرطوم**


الحمد الله القائل وهو عز من قائل: "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىَ أُوْلَئِكَ عَنْهَاَ مُبْعَدُونَ". والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على من كان رحيله إلى الرفيق الأعلى تمحيصاً لأهل الإيمان.

عند الأصيل من السبت، الموافق للثاني من مايو من العام 2020م رُزِئنا أيما رزء بفقد كريم الأصل والخصال، عزيز النفس، جميل الصفات؛ العم الأستاذ عباس الزين الطيب عبد الله. لم يكن رحيله فاجعة على الأهل والعشيرة فحسب، بل كان صاعقة أصابت الأوساط العلمية والبحثية، إذ نعاه الناعون وبكوه بالدمع البديد والحرقة التي أصابت مقتل أحبائه وزملائه وكل من يعرفونه.

لم يكن الأستاذ عباس الزين مجرد شخص يؤدي واجبه كمثال لنظام الخدمة المدنية الحقة، بل كان يحسن العمل وزيادة، لقد كان العم عباس إنساناً تتجسد فيه معاني الإنسانية بمعنى الكلمة. لا أقول إنه كان يساعد الصغير قبل الكبير والغريب قبل القريب، لكنه كان يزيد على ذلك بشاشة وطلاقة وجه وإحسان وتفانٍ في العمل والمساعدة.

يُعد العم عباس ركنا ركينا من أركان مكتبة السودان بجامعة الخرطوم، بل إن مكتبة السودان هي عم عباس، فعندما ننوي الذهاب إليها، لا يتبادر إلى أذهاننا إلا ذاك الشخص البشوش الذي يبذل روحه لأن يجد لك ما تطلبه من المصادر المتعددة التي يحفظها هو عن ظهر قلب. ولا تكاد تسأله عن كتاب إلا ويكون قد عرف محتوياته قبل موضعه في أضابير المكتبة، فهو خازنها وسادنها لخمسة عقود من الزمان. وقد خلق اهتمامه بالمكتبة علاقة بينه وبين الكُتَّاب والباحثين في مجالات السودانويات بمختلف توجهاتهم، إذ كانوا يهدون المكتبة إنتاجهم العلمي بشكل ثابت، وكانوا على تواصل مع العم عباس بصورة شخصية لما لمسوه فيه من دماثة الخُلُق وشغفه بالمكتبة وإثرائها بما تحتاجه من كتب، زيادة على بذل الجهد لجلب الجديد من المطبوعات، فكثيرا ما كان يجتهد بصورة شخصية ليلبي رغبات القراء والباحثين

وإحضار ما يحتاجونه من كتب لا تتوفر في المكتبة. وقد كان عنده برنامج ثابت، وهو أنه بعد أن يكمل عمله اليومي، يذهب إلى السوق العربي أو سوق أم درمان ليقف الساعات الطوال أمام الكتب المعروضة على الأرض، لعله يجد فيها ما تحتاجه المكتبة، إذ تعد الكتب المعروضة في الرصيف ثروة هائلة لا يعرف قدرها إلا أهل الشغف بالعلم الذين يسبرون أغوارها ويتابعون جديدها.

فمكتبة السودان؛ هذه المكتبة العظيمة تعد ملاذاً للباحثين في مجال الدراسات السودانية بشتى ضروبها، إذ بُنيت حلقات وصل متينة بين أضلاع المثلث الثلاثة؛ عمي عباس والمكتبة والذين يرتادونها طوال حياتهم البحثية. فقد كان العم عباس شماساً يدير كؤوس الراحِ على الندامى في حانات المعرفة بكل أدب وتهذيب. وقد ارتبط عند الباحثين بعبق الكتب القديمة التي تملأ المكتبة، فلا تكاد تدخل المكتبة وتنشق عبير الكتب الذي يقابلك عند المدخل إلا وروحك تتطلع إلى رؤية العم عباس وسماع صوته الهادئ الحاني. وقد كان يعير صغار الباحثين وطلاب البكالوريوس ليروي بنفسه بذرة تراكمهم المعرفي، لأنه يتأملهم بنظرة ثاقبة ترنو إلى المستقبل الواعد فيرى فيهم علماء المستقبل وسادة المعرفة.

ومنذ أن وطئت قدماي سوح جامعة الخرطوم؛ وجدت في العم عباس خير معين وسند، فقد شارك مشاركة ثرة في إعدادي المعرفي منذ أن كنت في مرحلة البكالوريوس، فكلما ذهبت إليه في المكتبة أو حادثته هاتفيا إلا وأشبع روحي بما أريد من المراجع المهمة، وإذا لم يجد ما أريد في المكتبة كان يقول لي: "خليني بشوفو ليك في السوق العربي عند الفراشة، بِتلقي إن شاء الله". أي إنسان هذا وأي روح طيبة هذه.

أما على صعيد التواصل والتراحم الاجتماعي فلن يستطيع أحد أن يضاهيه ويجاريه في ذلك، فقد كان سبَّاقاً إلى المشاركة في محافل القرية أفراحاً وأتراحاً، وكنَّا نجده قد وصل القرية قبلنا وهو كهل نحيل الجسد. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنا ته .

أعزي نفسي قبل كل إنسان، لأن رحيله كان فاجعة تركت غصة في حلقي وحُزناً عميقاً، فقد فقدت فيه الأب الحنون والمرشد والمربي والقدوة المثلى في الخُلُق والتعامل الراقي، ولا أدري كيف أَلِجُ جامعة الخرطوم بعد أن أضحت خالية من تواجده الجغرافي والنفسي. الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه. كما أعزي أهلي وعشيرتي بحلة عباس مسقط الرأس خاصة، ومنطقة الحلاوين عامة، وكل الأهل بالخرطوم. كما أعزي

الأسرة الجامعية قاطبة، فقد فقدوا زميلاً وأباً وأخاً طيِّب المعشر. ولا يفوتني أن أعزي مجتمع الباحثين وأصدقاء مكتبة السودان في مشارق الأرض ومغاربها. فالعم عباس من البقية الباقية الذين قال فيهم محمد المكي إبراهيم: جيل العطاء المستجيش ضراوةً ومصادمة.. المستميت على المبادئ مؤمناً.. المشرئب إلى النجوم لينتقي صدر السماء لشعبنا.

ألا رحم الله الفقيد وأحلَّه عنده في مقعد صدق في جنات ونهر، وضاعف رضوانه عليه، وجعل مقيله في الفردوس الأعلى مع الحبيب الطبيب صلى الله عليه وسلم. والحمد لله أولاً وآخراً.

## قصيدة في رثاء الفقيد الأستاذ عباس الزين الطيب طيب الله ثراه

### د. محمد السر محمد علي الجعلي

أيَا قِمَمَ المعارفِ خبرينا ... عن الليث الذي هجر العرينا

وفي السودان بصمته فخار ... بمكتبة لها أضحى أمينا

فقد ألف الخزانة مستعيناً ... بسيب المال عند الباذلينا

حفياً كان يلقى زائريه ... فلم يُبخل ولم يلفَ ضنينا

هو العبَّاس لا كدِراً ولكن ... عبوسٌ في وجوه العابثينا

بمكتبة له كانت ملاذا تعهد ... بالرعاية طلعها دهراً وحينا

فلا والله ما لانت قناة ... له عند الشدائد حيث جينا

فإن تطلبْه في شأن تجدْه صبورٌ ... حضورا لم يقِّطبْه الجبينا

أدهش الصبر احتمالا ... وعند اليُسرِ زادُ العارفينا

يكلمُ لا يَملُ له جليسٌ ... يفوق حديثه الدرَّ الثمينا

فلم يثْبتْ لحُب المال فضْلاً ... وإنْ سيقت له الدُّنيا قطينا

فزاد الكيل صاعن اعتزازاً ... ونقْصُ الكيل عبأهُ يقينا

غدا يهب المشُورة دون أجر ... يَعُدّ صنيعه في العنق دينا

وعلمُهم بأنَّ النسر يأْبى ... مثول الحبس في قفص سجينا

وآثر أن يغادر طود عز ... كما النخل الكريم يموت فينا

بقامته امتشاقً واعتدالاً ... وإنْ خارت قواه فلن يلينا

رحلت كما أتيتٌ بلا ضجيج ... وحالُ الناس أغنى السائلينا

حمامة مسجد في الحي تدعى ... بذا قد كان نعي القاطنينا

وتلك شهادة الأطهار فيكم ... فقد والله كنت بها قمينا

حُرمنا أنْ نُشيعك اضطراراً ... فسيفُ الحظر شجّ الوصل فينا

فتلك محاسنٌ إنْ لم نصُغْها ... لفقدك عندنا لا خير فينا






رقم الإيداع القانوني: (002490159 - 2022)